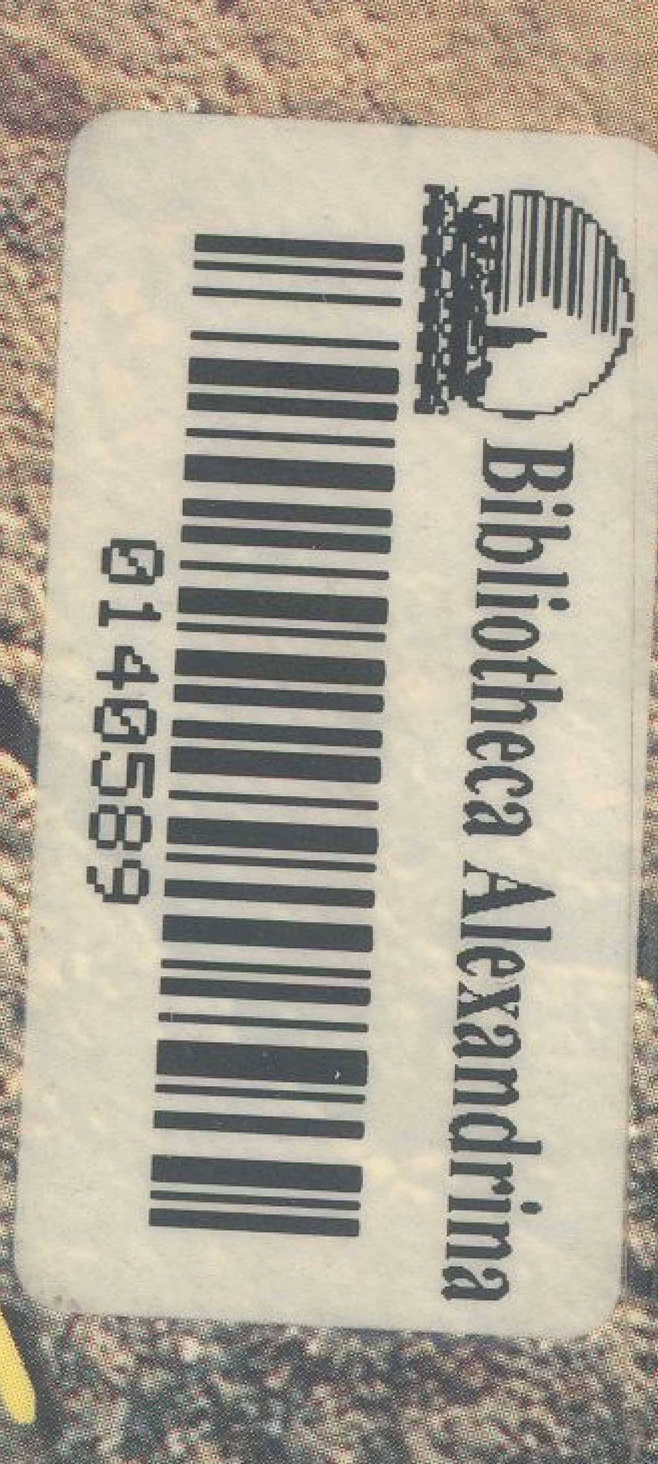
أنيس منصور

شبابنا الجيران



المكتب المصري الحديث

شبابنا الحيران

الطبعة الأولى يناير ١٩٩٨

المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر

٢ شارع شريف عمارة اللواء القاهرة ت: ٣٩٣٤١٢٧

٧ شارع نوبار المنشية الاسكندرية ت: ٤٨٤٦٦٠٢

فاكس القاهرة ٣٤٧٥٤٢٧ - ٣٩٣٤١٢٧

رقم الايداع : ١٩٩٨/١٩٦٧

الترقيم الدولى I.S.B.N

977-209-031-7

أنيس منصور

شبابنا الحيران

المكتب المصري الحديث

كلمــــة أولــــى

إذا كنا جادين فى حل مشاكل الشباب فالأرض هى الحل. وما لم تكن هذه حقيقة مؤكدة وما لم تنفرد هذه الحقيقة بأن تكون عصا موسى التى تأكل كل الأفاعى والمعوقات، فلا أمل فى حل.. ولا حل!!

وليس يكفى أن نقنع أنفسنا بهذا الأمل، ولا أن نجعله حلما مزمناً لكل شاب فى مصر، ولا أن نجعل لهذه الكلمات طعم المعجزة القادرة على تحويل البحر إلى طحينة، وتركيب لسان على كل حبة رمل فى صحارينا لكى تتكلم "عربى" وإنما أن نقنع بها السادة الوزراء واحدا واحدا ووزير التعمير والمالية والإقتصاد والداخلية، ونؤكد لهم أن الشباب لن يهربوا بالأرض .. وأنهم ذهبوا ليقيموا هم وأولادهم ومعهم مستقبل مصر.وإنهم مواطنون شرفاء يؤمنون ببلادهم وربهم وإنهم جادون. أكثر منا جميعا..

فإذا اقتنــع الســادة الـوزراء والوكـلاء والمـدراء، فليقدمـوا دليـلا واحدا على هذا الإقتناع.

ولكننا نعلم جميعا، أن هناك عقبات وغدا تتوالى وتتوالد.. وإنها جميعا ذات صفة واحدة: القضاء على كل أمل عند أى شاب وعنـد هذا الجيل من أوله لآخره.

وإذا كان هذا هو ما يفعله المسئولون لحـل أزمـات مصـر، فمـا حاجتنا إلى أعداء، وما حاجتنا إلى حروب وإلى خراب وإلـى دمـار وديون.. فكل ذلك موجود عندنا.وهو الشىء الوحيـد الفـائض عـن حاجتنا، والذى يجب أن نلقيه فى النيل مثل عـروس البحـر –مـا دام النيل هو الآخر لا يفيض! هذا الشىء هـو الروتيـن العتيـد، هـو الـلا مبـالاة هـو ظـاهرة "التصحـر"–أى الهجـوم علـى الأرض الزراعيـة وتحويلها إلى صحراء.. أو الزحف على الأمل وإلتهامه مثل الجـراد، حتـى تصبـح الأرض المزروعـة خرابـا يبابـا.. إنـه الروتيـن "هـو الجفاف"–

المصيبة إننا جميعـا نعـرف ذلـك.. الشـباب يعفـون ويتوجعـون ويتـأملون ويضربـون رؤوسـهم فـى الحـائط.. والحـائط هـو هـذا

الشىء الوحيد الذى نفاجأ بــه يقـوم ويعلـو مـن تلقـاء نفســه، لا لشىء إلا ليكون فى متناول الرؤوس اليائسة!!

ثم نلوم الشباب.. ولا نقطع رقاب هؤلاء الذين يغرسون اليـأس وينتظرون بصبر عجيب كيف ينمو غضبا وعنفا وموتا؟!!

أنيس منصور ١٩٩٧

هـذا الإغتيـــال

لا يملأ الأيدى الفارغة من العمل، والعيون الفارغة من الجمـال، والعقول الفارغة من المعانى إلا تراب مصر.

ولا شىء يدل على أن مصر كلها جـادة إلا إذا أطلقـت الشباب على الصحراء وأطلقنا وراءه الماء.. ولا شىء يدل علـى بيروقراطيـة مصر وعلى أننـا "أحفـاد الكـاتب المصـرى الجـالس القرفصـاء" إلا حشـد مئـات الألـوف مـن الشباب فـى دواويـن الحكومـة وتوفـير المقاعد وسندوتشات الفول التى تبيعهـا الدولـة فـى زمـن تبيـع فيـه مـارجريت تاتشـر المطـارات والسـكك الحديديـة والنـــور والمــاء للشعب. لماذا؟؟ لأن تاتشر ترى أن الدولة أكبر مـن أن تبيـع الفـول وتذاكر الطائرات والقطارات!!

ولا شىء يدل على أن روح التدمير لا تزال عميقة متسلطة على مشاعرنا إلا عندما نقف فى وجه الشباب الـذى يريـد أن يغـامر وأن

يقتحم وأن يكون بطلا، إلا حين نلقى الوحل على كل من يحاول أن يؤكد أن مصر لم تمت ولن تموت. وكل من يحاول أن يثبت ذلك فى يوم واحد عندما دعا ألوف الشبان ليعملوا فى زرع الأرض ورصف الطريق وجمع الثمار.

لقد حاول أحد الشباب العصاميين ويملك مئات الملايين أن يجعل الشباب يبدأون كما بدأ، وأن يرد لهم إيمانهم بأنفسهم ومستقبل مصر، كما فعل هو ونجح.. فماذا حدث لهذا الشاب الذى نذر نفسه للشباب؟؟

شيء عجيب أن تقف منه كل الصحف موقفا عدائيا، وأن تشوه الفكرة وتحطم المشروع وتدفن هذا الشاب فى أفكاره -وهكذا تجعله وحده يبكى على أنه فكر فى تحويل دموع الشباب من حبات من العرق الطاهر، إلى حبات من اللؤلؤ تلمع فى ظلام اليأس وسوء الظن، ووحل التواكل على الغير- وعلى الدولة بصفة خاصة..

إن الذين يقتلون الأفكار الشابة لا يغتالون شابا واحدا، وإنما مستقبل مئات الألوف.. ملايين الشباب الذين يجب أن تتولد فيهم وبهم الوصايا العشر لإنقاذ مصر..

الوصية الأولى: أن يعملوا بأيديهم وبأفكارهم في أرضهم ليصبحوا قادرين على تنفيذ بقية الوصايا!!

الجيـــل والنـــاس

هتلر كان صاحب نظرية: القوة عن طريق المرح.. وبهذه النظرية خلق جيلا من الشباب يلعب ويكون جيشا فاتحا: يزرع الأرض ويبنى المصانع ثم يحمل السلاح ويقتل فى كل الإتجاهات..

أما النظرية فصحيحة.. أما التطبيق فشرير.. فهو قد خلق أجيالاً من الشبان الأصحاء. ولكنه حشدهم من أجل خراب ألمانيا وأوربا كلها. ومن خلال المرح من الممكن أن نجعل جيشا من العمال والفلاحين والموظفين أيضاً. وذلك من معسكرات العمل فى زراعة الأرض وتشجير الصحراء ورصف الطرق وبناء المدن وبناء المعسكرات بتدريب الشباب على النظافة والتعاون والإنضباط. وأن يعمل الواحد من أجل الجميع وأن يعمل الجميع من أجل الهدف

الواحد. زراعة الأرض البور وتشغيل الأيدى العاطلة وتنوير العقول الفارغة وملء الجيوب المفلسة وإضاءة المستقبل الغامض..

زرت معسكرات للشباب فأعجبنى وأسعدنى وبهرنى ما رأيت.. هذه الوجوه الحلوة السمراء، هذا المرح الصادق. هذه السواعد هذه السيقان هذه الحناجر هذا الذكاء هذا الوعى هذا القلق على المستقبل -عيون تتألق بالمعانى كأنها قطع الماس الحر فى خزانة الحاضر، هدية للمستقبل..

إن من الظلم أن ندين جيلا من أوله وآخره ونقول: تافه.. جاهل.. مغرور.. ضائع!!

ليس تافها من ينشغل بمستقبله، وليس جاهلا من استغرقته الكتب الجامعية، ولا مغرورا من يثق بنفسه وبلده، ولا ضائعا من يريد أن يجد لنفسه طريقه إلى السلام والبناء والرفاهية..

ولكننا فقط نسينا كيف كنا شبابا، وما الذى كان يقوله آباؤنا لنا وعنا.. نسينا أننا كنا مثل هؤلاء الشبان تماما. وقيل لنا أيامها: لا أمل لنا ولا أمل فينا.. ثم نكرر ونؤكد أننا حققنا ما سوف يعجزون عنه..

بل سوف يصنعون ما عجزنا نحن عنه.. إنها مسألة وقت.. وقتهم هم وليس وقتنا نحن!!

إن كل جيل له أناس، وكل أناس لهم جيل، وكل جيل له قضية.. وكل جيل يعرف ما يناسبه وما يقدر عليه.. وواجبنا أن نفسح الطريق والصدر إلى مستقبلهم الأفضل!!

نوعان من الأخلاق

إن ظهور هذا العدد الكبير من الغشاشين واللصوص والهاربين من العدالة، جعل الفقراء الأمناء يحمدون الله على نعمة الشرف. ولكن ظهرت لهم مشكلة أخلاقية: ولماذا يصبح اللص غنيا والغشاش ناجحا؟؟ فما جدوى الشرف والأمانة؟؟ ومشكلة أخرى أصعب: متى يصبحون هم أيضا أغنياء في هذه الدنيا. أم أن الدنيا للصوص والآخرة للشرفاء. ولكن إذا كان بعض الشرفاء لا يقدرون على مقاومة إغراء الفلوس والسلطة، ألا ترى أنهم معذورون إذا سرقوا من أجل الزوجة والولد؟ أليس هؤلاء اللصوص بفلوسهم ومراكزهم مصدرا للعذاب اليومي لكل من عنده شرف ودين.

فكأن الفقراء يتعذبون كل يوم بضميرهم وشرفهم، وبثروة الأغنياء وسلطانهم.. ويتعذبون أكثر وأكثر بأن هذا قدرهم، وأن لا حق لهم في أن يكون عندهم أمل.. فأين عدلك ورحمتك يارب!!

هناك نوعان من الأخلاق:

أخلاق وقائية وأخلاق علاجية. أما الأخلاق الوقائية فهى لحماية الناس من شر الناس فهى "أفكار سابقة التجهيز" مثل: الصبر مفتاح الفرج. والفلوس تيجى بالمرض، بلاش منها.. والمؤمن مصاب.. وكلها أرزاق، ولا أحد يموت جائعا. الخ.

أما الأخلاق العلاجية فهى مجموعة الأوامر والنواهى التى يتلقاها الطفل فى المدرسة وينساها فى الشارع عندما يذهب إلى بائع الحلوى فيجد زملاء له يشترون بعشرات الجنيهات ويلقون بها فى "دواسة" سيارة كبيرة ولا يأكلونها، وإذا حاول أن يمد يده أو يطيل لسانه، تحولت كل عيون الناس ورموشهم إلى كرابيج تهدده.. وإذا تجرأ أكثر فقوانين الدولة كلها ضده... ويكتشف بعد ذلك أن قوانين الدولة هذه ليست منيعة كما تبدو، وإنما بها ثغرات كثيرة، ورغم أنها فى متانة الصلب فإن ثقوبها يمكن توسيعها بلفافة من الأوراق المالية!!

يعنى أيه؟ يعنى هذا حال الدنيا. الأغنياء يزدادون ثراء، والفقراء يزدادون فقرا -قالها السيد المسيح: من معه يعطى به ويزاد، ومن ليس معه يؤخذ منه!! لماذا؟ هناك ألف إجابة على ذلك. ولكن هذه

الإجابات تبقى الوضع على ما هو عليه، ويظل الشاكى يشكو لطوب الأرض.. أملا فى ليلة القدر وطمعا فى الجنة!!

خطبـــة الجمـعــة

أنقل إليك نص الحوار الذى دار بينــى وبيـن إذاعـة الشباب فـى إحدى الدول العربية:

ما الذى تنصح به الشاب لكى يقرأ فى الأجازة؟؟

أولا لا أنصـح أحـدا. فالشـباب يكرهـون النصيحـة.. فالشــباب النصيحـة.. فعندهـم فــائض مــن نصــائح الأب والأم والمدرســين والصحف.. ولكن أرى أن الشباب حر فى إختيار المفيد والنافع..

وإذا كان لا بد أن يقرأ فما الذى يقرؤه؟؟

هو الذى يحدد إن كانت القـراءة شـىء لا بـد منـه.. أو ليسـت كذلك.. فإذا قرر أن يقرأ فليقرأ أى شىء. فالقراءة يجـب أن تكـون متعة.. لأن الشاب قد فرغ أخيرا من القراءة التى لا متعة فيها –قراءة الكتب المقررة– فليقرأ أى شىء..

فما الذى تستطيع الدولة أن تفعله للشاب إذا أراد أن يستفيد من وقته فى الأجازة..

إسأل الشبان الأجانب الذين يجيئون إلى مصر فى فصل الصيف.. إسأل أى واحد منهم عن الذى تكفل بالإنفاق على سفره وإقامته، فسوف تجد إحدى الشركات أو مؤسسات الرأى العام أو المخابرات.. إنها تطلب إليه تجربة أدوية المناطق الحارة، وأن يكتب تقريرا عن شعوره عند عودته.. أو تطلب إليه أن يكتب تقريرا عن زى المصريين.. أو غطيان زجاجات الكوكا التى يلقى بها المصريون.. عرفت شابا مصريا أمه يابانية كلفته إحدى شركات الراديوهات أن يكتب تقريرا عن كيف يمسك المصرى بالراديو الصغير وكيف يستعمله وما هو أول شيء يلفت نظره .. الحجم.. الشكل.. اللون.. الإسم.. قابلت شابا ألمانيا يعمل لحساب شركة باير للأدوية.. كان مكلفا بتجربة أثر الماء المالح فى الأقمشة وفى الجروح وفى العيون وفى أحمر الشفاه!!

- وماذا تفعل الفتيات فى الصيف؟؟

- لا فرق بين ما تستطيعه الفتاة وما يقدر عليه الفتى.. وقد رأيت عددا من الشبان يعملون معا.. فتى وفتاة.. وكان موضوع الدراسة والبحث هو كم يتكلف الزوجان الشابان إذا قررا الحياة فى القاهرة أو الإسكندرية أو أسوان. ووجدت شابا إيطاليا مستشرقا قد كلفته إحدى الهيئات الكاثوليكية بمتابعة خطبة الجمعة فى مساجد القاهرة وأسيوط!!

ولابد أن هناك من يستفيد من وراء هذه المعلومات!!

كأنـــــه لن يمــــــوت

الجيل السندويتش: هو كل إنسان فى الخمسين من عمره، فهو وسط بين الشباب والشيخوخة. هذا الجيل بدأ الإهتمام به . أكثر الهيئات إهتماما به شركات التأمين والشركات السياحية. فهى جميعا قد اختارت الجيل السندويتش هدفا لها.. فهى تريد أن تطيل إحساسه بالشباب، وأن تبعد عن رأسه أنه مقبل على الشيخوخة.. وأنه خلاص يا لله حسن الختام.. ورجل هنا ورجل هناك.. ويبقى حناخد زماننا وزمان غيرنا وربنا يعديها على خير والمثل بيقول جبال الكحل تفنيها المراود وطول العمر تفنيه السنين قد اتخذت هذه الشركات الأمريكية شعارا هو أن أحسن عشر سنين فى حياة الإنسان هى ما بين الخامسة والأربعين والخامسة والخمسين!!

ولذلك درس عدد كبير من علماء النفس أنسب الألعاب والرياضات والسهرات والمشروبات والمأكولات والأصدقاء..

ووضعوا كل هذه الدراسات على شكل نصائح لجيل السندويتش.. مثلا: أختر لك صديقا له إهتمام مختلف عن إهتمامك.. ليس من الضرورى أن تكون كل سهراتك عائلية.. زوجته وزوجتك وأولادك وأولاده.. إنه ليس صحيحا أن النوم الراحة الوحيدة، سوف تنام طويلا بعد ذلك، إن ساعات النوم القليلة العميقة أفضل من ساعات النوم المتقطعة.. ليس الطعام هو لذتك الوحيدة.. وليست اللذات العنيفة هى التى تهم.. وإنما المتع الهادئة.. لا يزال عندك وقت.. لا تشعر لحظة واحدة بأنك تلعب فى الوقت بدل الضائع.. هذا هو الوقت والأرض لك وأنت وحدك مع الجول.. شوط.. صفارة الحكم تحتسب لك هدفا..

إن النصائح التى تقدمها هذه المؤسسات للشعوب الآسيوية التى تعرف كيف تتذوق الحياة فى كل سن فهى هكذا: إذا كنت قد اعتدت أن تنام على الأرض، فاستمر على الأرض وهذا أفضل للعمود الفقرى.. إذا كنت نباتيا.. فلا تأكل لحما من أى نوع..

إذا كنت تدخن وتجد لذة فى ذلك، فاستمر فى التدخين.. يجب أن تتزوج إذا كنت أعزب لتجد أحدا، بدلا من أن ترى وجهك فقط كل يوم فى المرآة.

جاء فى كتاب عن "الأربعين عاما الأخيرة من عمرك" هذه العبارة لمكيموتو الذى اخترع صناعة "اللؤلؤ المزروع" قال: عشت كأننى لن أموت أبدا.. وزيارة الناس لقبرى أكبر دليل على ذلك فاجعلها حكمتك- هكذا يقول الكتاب!!

إنهــا أمـــــانــة ...

شبابنا ضائع تائـه، وسبب ذلـك أنهـم حـائرون بيـن القيـم التـى يتعلمونها وما يرون فى الحياة اليومية.. أو أنهم لا يعرفـون أين فـى الحياة وأين الكذب فى الكتب. أو هل الصدق فى الكتب والكـذب فى الحياة.. وكيف يعيشون وعلى أى مبدأ وقاعدة..

ثم أنهم غير قادرين على أن يغيروا ما لا يعجبهم.. وغير قـادرين على أن يعيشوا كما يعجبهم . ويقال لهم عادة: أنتم صغـار .. ثـم إنكم لم تتعلموا شيئا تستحقون عليه الأجر والمركـز . مـا يـزال الطريق أمامكم فاتعبوا كما تعبنا، وتعذبـوا كمـا تعذبنـا .. وأشـربوا المر الذى شربنا، وأهضموا الكذب الذى هضمنا، وأصنعوا الصـدق الـذى صنعنـا .. وليـس مـن العـدل أن تأخذوهــا جــاهزة طازجــة مهضومة .. إلى آخر ما نقوله عادة للشبان الصغار .

وفى إنجلترا ظهرت فى الخمسينات جماعات "الأدباء الساخطون" .. وفى أمريكا ظهرت جماعات "الأدباء الصاخبون" .. وانتقلت العدوى إلى العالم كله فانتشر الصاخبون الساخطون القلقون الذين لا يجدون لهم مكانا مريحا على حجر الأب وصدر الأم وأحضان المجتمع ، فهربوا من الحياة العامة إلى الكهوف أو إلى الخيام أو إلى دنيا المخدرات. لماذا؟ لأن الحاضر لا يعجبهم ولا يريحهم..

وفى السبعينات ظهر جيل جديد أسمه "جيل بعدين" أو "جيل يوما ما" .. هذا الجيل الجديد هو الذى يقول أن الحياة صعبة فى بلدنا ، فلنجرب فى بلاد أخرى "وبعدين" أو "يوم ما" نعود إلى الوطن .. يجب أن نجرب ونتفرج ونعانى ونتعذب بعيدا ، "وبعدين" نرجع إلى المكتب والمصنع والحقل نبنى كما بنى الذين من قبلنا وأحسن وأجمل .. ولا داعى للإنتظار الذى يبعث على الملل، والملل الذى يبعث على البأس ولابأس الذى يدعونا إلى الهرب بأنفسنا بعيدا عن الناس والواقع.

فهل نحن ظلمنا الأجيال الجديدة؟

لم نظلمها إذا مددنا أيدينا ووسعنا صدورنا وفتحنا لهم بصدق طريق الأمل .. وإذا ترفعنا بهم ، وإذا أشرنا إلى الجانب الجميل من الدنيا .. وإذا أفسحنا لهم مكانا فى كل مصنع ومكتب ومدرسة ومستشفى .. أنها أمانة يجب أن نؤديها إلى أصحابها، وهم أصحابها ، وأصحاب هذا البلد غدا!

حضـــارتهـــم أفلست

ما الذى أصاب الشبان فى هذا العالم؟

ليس سؤالا فقط ، وإنما هـو عنـوان كتـاب إشـترك فـى تحريـره سبعة من علماء النفس الأمريكان والإنجلـيز والألمـان . أمـا هـؤلاء الشباب فعددهم سبعة آلاف فى أمريكـا وأوروبـا . وأعمـارهم بيـن الخامسة عشر والعشرين، متزوجين وعشاقا فماذا جرى لهم؟

ما بحث هؤلاء العلماء عن حالة هؤلاء الشباب وجدوهـم جميعـا من الأغنياء . فأدهشهم أول الأمر أن يكون الإنسـان شـابا غنيـا فـى أمريكا تعيسا كيف ؟ ولماذا؟

أول ما لاحظه هؤلاء العلماء علـى شـباب العـالم أن هنـاك أزمـة فهم–أى أنهم لا يجـدون اللغـة الواحـدة ولا الهـدف الواحـد لكـل تصرفـاتهم .. أو لمعنـى هـذه الحيـاة عندهـم وعلـى ذلـك فهنـاك عالمان: عالمهم وعالم الآخرين الأكبر سنا والأكثر تجربة ..

والمعنى الثانى : أن هؤلاء الشبان لا يحاولون أن يكونوا مفهومين عند الآخرين . وفى نفس الوقت يطالبون من الآخرين أن يفعلوا ذلك أى أنهم هم "الأصل" ومن عداهم من الناس هم "الفرع" .. أو بعبارة أخرى: يجب على غير الشبان أن يفهموا الشبان وأن يتعايشوا معهم .

ثالثا: أن الشبان وحدهم ..وأن هناك "مؤامرة" من العالم كله لإبقائهم على هذا الوضع .. أى عزلهم ونبذهم وطردهم واحتقارهم واستنكارهم .. بل وتركهم يغرقون فى الشماتة فيهم بعد ذلك!

رابعا: أنه من الأفضل لهؤلاء الشبان أن يفتشوا لهم عن مكان خر- خارج البيت أو خارج الأسرة أو خارج المجتمع له .. أو عليهم أن يذهبوا إلى كواكب أخرى ويتركوا هذه الأرض للذين هم أكبر سنا!

خامسا: يرى هؤلاء الشبان أيضا أن أحسن إعتذار يقدمه الغربيون جميعا هو أن يعتنقوا المذاهب الشرقية الدينية السرية والسحرية والأسطورية .. بل وأن يستعيروا نفس أسلوبهم فى الحياة لأن الحضارة الأوربية الأمريكية قد أفلست . وهذا إقرار بذلك..

ومن توصيات هؤلاء العلماء، حلاً لهذه الأزمة الخطيرة: أن يبقى الأب والأم عن العمل . أن يتزوج الشبان فى سن مبكرة .. أن يقترب منهم رجال الدين بأسلوب عصرى- لأن الشبان أكثر إيمانا بالله من آبائهم وأجدادهم .. وأن حاجتهم إلى الله سببها أنهم يستنجدون بالسماء ضد أهل الأرض !

الصبر من الجميع

الشباب كالزئبق فى كفك.. إفتح يدك يستقر فى بطنها، أقفل يدك يهرب من أصابعك!

فهل هذا صحيح؟ وما هو معنى فتح اليد وقفلها؟ وإلى أى حد تفتحها، وإلى أى حد تطويها؟

إن مثل هذه العبارات تقترب من معنى الشباب. فهو يشعر إذا فتحت له الدنيا .. أى إذا أبعدنا عن القيود والحواجز .. فالشباب ليس ضارا ولا خطرا ولا مخيفا. انه فقط كائن قلق. أى انه يريد أن يعرف .. يريد أن يفهم .. يريد أن يجرب قدراته .. له رأى أو يجب ان يكون له رأى وأن يكون رأيه مستقلا عن الآراء التى سبقته. عن رأى والديه ومدرسيه وحاكميه.

فهذا الإختلاف فى الرأى مظهر من مظاهر الاستقلال فى الحياة .. إنه حريص على أن ينمو . وعلى أن يكبر . وأن يكون على مستوى واحد من الآخرين أيا كانت سن الآخرين وأقدارهم.

فهل هذا خطأ؟ ليس خطأ.

إذن أين يقع الخطأ؟ الخطأ يقع عندما يتصور الشباب أنه هو وحده الصحيح وكل الناس على خطأ وعندما يتصور أن شهادة الميلاد هى المؤهل الوحيد للبقاء والسيطرة .. بمعنى أن الأصغر سنا هو الأكبر عقلا، وأن الأكبر سنا أضعف قدرا وقدرة . فليس هذا صحيحا. لأن كل إنسان كان يوما صغير. فصغر السن ليس مؤهلا ينفرد به الشباب ، و إنما قد سبقه إلى ذلك ملايين . ثم إن كبر السن ليس عورة، فسوف يصبح الشاب كبيرا فى السن أيضا إذن ما هو المقياس؟ لمقياس هو الفهم والتجربة والصبر والكفاح. أى مطلوب من الشباب أن يتروى وأن يجرب فى حكمه على الناس أو على غيره من الشباب .

ولكن الشباب مختلف بطبعه عن الكبار .. أولا هو قلق .. وليس القلق عيبا . و إنما هى طبيعة فيه .. مثل لمعان العين ونعومة

بطن الكف. وظهور الشعر فى وجهه وذراعيه وصدره .. والشاب الذى لم يعرف القلق ليس شابا ، ولا أمل فيه .. فإذا نحن جردنا الشباب من أن يكون لديه أمل وعنده أحلام وحب مغامرة واستعجال لما سوف يحدث، جردناه من أن يكون أنسانا له قيمه..فالشباب كله ليس خاطئا ، كما أننا جميعا لسنا على صواب ... إننا جميعا لسنا على صواب ... إننا جميعا نقتسم الخطأ والصواب والذى يفصل بيننا فى قضايانا: الاحترام المتبادل والصبر من الجميع!

كـروش وقــــروش ..

النكتة معناها: أن تزغزغ واحد من الناس بسكين. أى أنك تبكيه منك ، ثم تجعله يضحك على نفسه!

مثلا هذه النكت القديمة عل إنشاء "مديرية التحرير" التى أشرف عليها مجدى حسنين: ما هو الفرق بين المليونير أحمد عبود والضابط مجدى حسنين: إن الأول يحول التراب إلى ذهب ، والثانى يحول الذهب إلى ترابإنتهت النكت التى أضحكتنا وأبكتنا على فلوس مصر التى تروح تحت الأرض ولا تجئ . ولكن هل هدتنا إلى أى حل ؟ لا حل.

وهذه النكت تدل على سوء فهم للفلوس وتراب الصحراء.. فالفلوس لا يمكن إذا ألقيتها فى الأرض أن تعود عليك بالفائدة فورا ورمال الصحراء لا يمكن أن تعطيك ما تريد بمجرد أن تريد . إنها مسافة طويلة جدا بين أن يتحول الرمل الأصفر إلى تراب أسود ،

وأن تتحول البـذور إلـى أوراق وزهـور وثمـار .. إن الصحـراء فـى حاجة إلى أن نمحـو أميتهـا فتعـرف كيـف تحتضـن البـذور وتنبتهـا وتنميها وترعاها .. إن الصحراء في حاجة إلى أن يكون لديها حنان على البذور، وأن يكـون لديهـا شئ مـن الامتنـان للذيـن تعبـوا فـى إصلاحها وزراعتها ورعايتها .. إن وقتا طويلا ومالا كثيرا يجب أن ننفقه على الرمال حتى ترد إلينا بعض ما أودعنا فيهـا .. وهـذه هـى معارك الصحراء .. أن معارك روميل زحفا وإنسحابا مـن العلميـن ، من الأعمال الرائعة ولكن زراعة الصحراء هي المعركة الكبرى ضـد الموت الأصفر..

ومنذ أيام سافرت إلى منطقة مريـوط وشـمال مديريـة التحريـر . ورأيت جانبا من معارك الصحراء .. ولم يكن الذين يعرضـون علينـا سر القتـال جنرالات و إنمـا خبراء .. إنهـا معركـة هادئـة .. إنهـا تحويل كل ذرة رمل إلى خلية حية .. وكل بقعة صفراء إلى مساحة خضـراء ، وكـل بـذرة إلـى شـجرة .. وكـل شـجرة إلـى عشـرات الأرغفة للمليون طفل الذين يولدون فى مصـر كل عام..

إننا اليوم نواجه خطرين: الأرض الخصبة يستردها النيل ويزحف عليها البحر ، والصحراء تطبق علينا من كل جهة .. ومطلوب منا: أن نوقف البحر عند حده ، وأن نرد كيد الرمال المعتدية على وادينا الضيق من الشرق والغرب .. إنها ليست فلوسا تتحول إلى تراب فقط ، وإنما هو تراب يتحول مرة أخرى إلى قروش وكروش!

إنـــه الهذيـــــان

- عندنا مشكلة خطيرة فى مصر ليس لها نظير فى العالم كلـه.. إننا جميعا نتهم كل الناس بكامل حريتنا . ونشتم ونسـمى الأسـماء بأسمائها :

هذا هو المسرح الفكاهى،ويكون هذا الكلام الذى يضحك لـه الناس تفريجا عن همومهم . فالناس يجدون فى المسرح ما يقولونـه فـى البيـت وفـى الشـارع ، ولكـن بصـورة أجمـل وأوقـع، ويكـون الذهاب إلى المسرح نوع من "العـلاج الجمـاعى" . فالنـاس هـدف للنقد ، والناس يضحكون على أنفسهم وينظرون بعضهم إلـى بعـض ويهنأون أنفسهم على هذه التسوية الشـاملة ، ولا يخجـل أحـد مـن أحد فالأمراض واحدة ، والأعراض واحدة ، وكلهـم يعرفـون ذلـك .. فهم عراة أمام الممثلين وأمام أنفسهم - وهذا هو العلاج !

ولكن عيب هذا الإنطلاق النفسى، والتفريج اليومى لعذاب الناس أنه هو النهـــاية والبدايـــة فالنـــاس ذهبـوا ليضحكـوا وقـد ضحكـوا تماما كما يجلسون علـى كرسى هـزاز . وقـد أهـتزوا وتدغدغـت أعصابهم انتهى. مع أن هذه هى البداية : بداية العلاج فـالغرض مـن المسرح هو أن يرى الناس عيوبهم أوضح ، ليعملوا علـى تلافيهـا .. لنعمل جميعا . والحقيقة أننا لا نفعل شيئا غير الضحك. لماذا ؟ لأن الهدف هو أن نقول وأن يقال. لا أكثر ولا أقل!

وهـذا الخطأ أو الخطر يتكـرر فـى التليفزيـون أيضـا مثـلا : المسلسلات التى تدعو إلى تعمير الصحراء وتشـجيع الشباب علـى أن يزرع ويبنى ، قد امتلأت بالسخرية من أجهزة الدولة التى تعطـل كل شئ وهذا هو قمة النقد الذاتى .. الدولة تنقد نفسـها ، كمـا أن المسرح الأهلى الشعبى ، ينتقد الدولة وإستسلام الشعب . إذا النقـد عام لكل أجهزة الدولة ، رسميا وشعبيا. فمـاذا كـانت النتيجـة؟ لا نتيجة. لماذا؟ لأننا قد اعتدنا على هذا الكلام . فلم يعد للكلام قـوة ولا للنقد أثر . وهكذا نكون قد جردنا أنفسنا من الصحة العقليـة ..

وجعلنا موقفنا بأنه نوع من الهذيان .. الممثل يهذى .. والمتفرج يهذى، والدولة معذورة إذا لم تصدق أحداً !

أما غلطتنا فهى أننا لا نفعل شيئا بعد ذلك.

الثقـــة ليست تملـــطا

ظهـرت أفـلام ومسلسـلات تفضـح تهريـب المخـدرات وبيعهـا وإدمانها بعد ذلك .. ولأنها كانت فكاهية ، فقد كان مصيرهـا هـو نفس مصير "النكت" التى نسمعها ونضحك ثم ننشرها ونضيـق بهـا .. ونبحث عن نكت جديدة فى أفلام ومسلسلات أخرى !

وظهـرت مسلسـلات وأفـلام عـن إصـلاح الصحـــارى ، وعــن تجريف التربة ، وإقامـة العمـارات علـى الأرض المزروعـة .. وعـن القانون الذى ليس قانونا . وما هى الحيل التـى تلجأ إليهـا الفلـوس لكى ينحنى لها القانون وينكسر ظهره وينقطع لسانه..

وهكذا يتحـول المسلسـل أو الفيلـم إلـى نكتـة طويلـة لهـا كـل صفات النكتة: فرقعة .. وإهتزاز .. وبعد ذلك صمت ثم أننا نتلهف على نكتة جديدة .. وإذا لم نجدها اخترعناها .. فأين الغلط؟

لا غلط فى النقد الذاتى .. ولا فى فضح أنفسنا أمام أنفسنا . بل هذا واجب فنى وأخلاقى وإجتماعى وسياسى . لابد أن يدلنا أحد على عيوبنا أملا فى علاجها. وهذا هو واجب الفن والأدب. فالفن كالأدب: إنه طب العلاقات الإنسانية.

ولكن الغلط فى أننا نكرر ذلك كثيرا وأنت تعرف ماذا يكون رد فعلك إذا سمعت النكتة الواحدة عدة مرات.. وحتى لو كانت من أشخاص مختلفين أو بأشكال مختلفة.

فرد الفعل هو إفتعال الضحك .. ثم الملل ومن عيوبنا نحن المصريين أننا نمل بسرعة . وفى نفس الوقت نعذب أنفسنا بالملل . فكان الهدف أن يتعذب الناس وأن يرتضوا ما يسمعون . فإذا ضاقوا رفضوا . فكان المطلوب هو أن نرفض الهدف وراء هذا النقد .. أى كأننا ندعوا أنفسنا إلى الضحك من أجل الضحك . أما ما عدا ذلك ، فلا هو مطلوب من الممثل ولا من الكاتب ولا من القارئ ولا من المتفرج فالسلبية الهزلية هى المطلوبة من الجميع! وهذا شكل جديد من أشكال الإدمان .. أى التعاطى مع فقدان السيطرة على النفس ونحن نفقد السيطرة لأننا فقدنا الوعى .. وهذه السلبية

هى التى جعلتنا نشعر بأن المسرح "غرزة" .. الداخل مسطول والخارج أيضا . وهكذا أضعنا على أنفسنا حكمة الحضارة الإنسانية كلها فى أن يكون المسرح "مصحة" الأمراض الإجتماعية والنفسية .

إنهم أحسن حالا

إننى أجد أعذارا جاهزة للشباب . فقد كنت شابا يوما ما وكنت مثلهم أتعجل الوصول - أو على الأصح أتعجل الظهور ولم تكن وسيلتى إلى الظهور سوى القراءة والكتابة - الكثير جدا من القراءة. ولم أكن أفضل نوعا معينا من الكتب. إنما أى كتب لأى مؤلف . المهم ما أجده. ربما كنت أحسن حالا من غيرى. فقد ولدت والكتاب فى يدى، أقلبه أمزقه بعينى على صفحاته دون أن أفهم شيئا. ولكن اعتدت عليه حتى أصبح حياتى.. وأنا أخذ على الشباب أنهم لا يقرءون كثيرا. ربما كان إهتمامهم بالرياضة أكثر . هذا أفضل فقد ندمت على ذلك كثيرا . فلم أتعلم رياضة واحدة. ولا حتى رياضة المشى أو العوم أو ركوب الخيل ، أو أى نوع من أنواع الكرة أو أى نوع من أنواع الورق - مع الأسف . فأنا أستريح من القراءة بتغيير مادة القراءة، كذلك يستمتع بالإذاعة ،

فيغير محطاتها فقط ولكنه يظل ملتصق الأذن والعين بالميكروفون والشاشة ..

وفى أيام الدراسة كنت لا أتصور أن يكون الواحد طالبا ولا عبا أيضا فكنت اندهش للصديق عبد الله عبد أبارى رئيس مؤسسة الأهرام وهو يذهب إلى ملاعب التنس وقد ارتدى زيا أبيض وفى يده مضرب التنس .. واندهش أكثر كيف جمع أستاذنا د. لويس عوض عددا من الطلبة يستمعون إلى الموسيقى الكلاسيكية ولم أجد فى ذلك الوقت تفسيرا لهذا السلوك الغريب. أو للزميلة الإذاعية اللامعة أمال فهمى وهى تغنى لام كلثوم فى حفلات كلية الآداب!

ولكنى أعترف بأن الشباب بإهتمامه بالرياضة والغناء والموسيقى أحسن حالا وأسلم جسما وعقلا .. ولكنى لا أظنه أكثر ثقافة ولا حرصا على المدخل الصحيح لكى يكون أكثرعلما وأعمق فهما لكل مشاكل الدنيا .. وبعد تجاربى الطويلة الفاشلة فى تعلم السباحة فإننى أرى أن تعلم القراءة والتذوق أيسر كثيرا جدا من الطفو على سطح الماء!

كنـــز لا يفنـــى ...

ياناس يا هوه لاأمل ولا أمان لبلدنا هذا من غير زراعة الصحـراء. والله لا أى أمـل مـن أى نـوع. فنحـن بلـد أرضـه الزراعيـة قابلـة للإتساع. ونحن بلد ربع سكانه شباب ثروة عظيمـة. هـذا الشباب أكثره ضائع تائه.. وهو معذور إذا تساند على جدران مزيفة وسـلك طرقا وهمية من أجل أى هدف أى غاية تنقذه من الشعور بأنـه ابـن غير شرعى لقي بأنه منبوذ مرهوب فى بيته وفى بلده.

يجب أن تتجه كل سياسة الدولة وإقتصادها وتخطيـط مستقبلها إلى الصحراء ..

وفى هذه الحالـة لا يهمنـى ولا يخيفنـى أن يكـون تنظيـم هزلـى للأسـرة المصريـة.. أبـدا فنحـن فـى حاجـة إلى كثير مـن العمـال والفلاحين والمهندسين مـن كـل نـوع لزراعـة الصحـراء.. ليـس ضروريا أن تكون المناطق التى سوف نخصصهـا للزراعـة هـى التـى

تحتضن القرى السياحية القريبة من كاميرات الصحف والتلفزيون..
وإنما الصحراء حولنا والماء يجرى بحيرات من تحتها.. الصحراء
تربة متفجرة الحيوية تماما كالشباب الذى يريد أن يبنى نفسه ببناء
بلده، ويبنى بلده ببناء نفسه..

إن زراعة الصحراء هى أعظم خطة من الممكن أن تتبناها مصر
إلى نهاية القرن.. لا أعظم ولا أروع ولا أكثر حيوية من هذه
الخطة. خطة تحتاج إلى سياسة لا تقبل المناقشة ولا المزايدة،
تحتاج إلى عقليات جريئة..

ما الذى يخيف مصر كلها من أن توزع الشباب على هذه
الأرض وأن تساعدهم بالمال والماء والنور والطرق والتليفونات ..
ما الذى يخيف مصر لو تقدمت .. شركات أجنبية بضمانات
وأعطيناهم الملايين من أرض مصر يزرعون ويستأجرون ويكسبون
إن نجحت الشركات فالمال أخذناه وبقيت الأرض عندنا ، وإن لم
تنجح فهو درس تعلمناه والأرض عندنا -وهى بديهيات لا تحتاج
إلى كل هذا التكرار عمال على بطال..

الأرض هى العرض فعلا..

والزراعة: كـنز لا يفنـى -ولكـن ليـس بهـذه الصـورة ولا بهـذه المعوقات التى تؤدى إلى بوار مصر وتبوير الشباب!!

الإبـــداع ممـــكن

طبيعى أن يتعجل النجاح كل شاب. كنا شباباً وكان هذا حالنـا. فالذى يكتب يريد أن ينشر.. وإذا نشر يريد أن يكون مشهورا. وإذا أصبح مشهورا، فضل وسائل الإعـلام الحديثـة، أحـس كأنـه العقـاد والحكيم.

وكذلك الذى يغنى يريد أن يلحن، والذى يلحن يريد أن يغنـى.. وصـاحب وصاحبـة الأغنيـة الواحـدة يتوهـم أنـه عبـد الوهــاب وأم كلثوم. !!!

مع أن عبد الوهاب وأم كلثـوم وعبـد الحليـم وفـايزة أحمـد لـم يبلغوا هـذه العظمـة الفنيـة إلا بـألوف السـاعات مـن الغنـاء لمئـات الأغانى وعشرات السنين.

فالشباب يتعجل الوصول..

وكان الفيلسوف الفرنسى فولتير ينصح سيدة تريد أن تكون أديبة فيقول لها: ممكن ولكن ليس قبل أن تعرفى ماذا قال غيرك، وماذا يمكنك أن تقولى أفضل!

وكان الأديب الساخر أوسكار وايلد يقول: عندما أكتب فإننى أضع تحت قدمى، كل ما كتبه الأدباء والشعراء فى ألف سنة!

وعلى الرغم من بشاعة هذه العبارة فإن صاحبها المغرور الأكبر الإنجليزى المعاصر كان حريصا على أن يقول ما هو أجمل وأعمق..

ويقال أن الشاعر أبو نواس، وهو عظيم الموهبة ، حقير الخلق عندما أخذ ينظم الشعر نصحه أديب كبير بأن يتوقف فورا . ثم قال له: ليس قبل أن تحفظ ألف بيت من الشعر !!

فغاب أبو نواس سنة وعاد إليه يقول: حفظتها. فهل أنظم الشعر؟

وكان جواب الأديب: لا..

بل ليس قبل أن تنسى الذى حفظت تماما !!

وغاب أبو نواس عاما وجاء يقول: نسيت الذى حفظت!

فقال له الرجل: الأن تستطيع!!

والمعنى: يجب أن يمارس الفنان مختلف أنواع الفنون، ويعـايش تجارب الآخرين.. ويتدرب على التذوق والحفظ.. ثـم ينحـى كـل ذلك جانبا، ويبدع هو!!

كلمــــة فى الأرض

أسأنا الظن بكل الذين احتلوا أرض مصــر.. فكفرنـا بكـل الـذى قالوه. ورأينا الصحيح هو أن نعمل عكس ذلك.

قال هيرودوت أبو التاريخ: إن مصر هبة النيـل، أى أن النيـل هـو الذى وهبنا الأرض.

أى أن النيل هو الذى جعلنا فلاحين، أما نحن فلم نبذل جهداً..

ولما جاء عمرو بن العاص إلى مصر وصفنا بأننـا سلبيون: نبـذر الحَبَ ونرجوا الثمار من الربِ -أى فلاحون كسالى..

وعندما جاء الأتـراك قـالوا: إننـا فلاحـون -أى لسنا أفنديـة ولا جنودا ولا أتراكا!!

وجـاء الإنجليز فقـالوا: إننـا فلاحـون ولا نحـب فلاحـة الأرض ونفضل أن نكون أفندية ونجلس على المكاتب..

فتوارثنا كراهية الأرض. وأصبح أمل الفلاح أن يهرب من الريف إلى المدينة..

ولا يزال الفلاح يهرب من الأرض بنفسه وأولاده إلى المدن العربية والأمريكية. غلطة فظيعة يجب أن نتداركها الآن بأن نزرع الأرض ونتوسع ونعطيها للشباب يبنى عليها مستقبل مصر كلها وهذا هو المستقبل الحقيقى. إنه تحت أقدامنا ، ولذلك يجب أن نرفعه ونضعه فوق أكتافنا ورؤسنا..

ولا مستقبل لهذا البلد إلا فى الأرض. فالأرض مصنع عظيم للمعادن والطاقة والأكسجين.

وفى الدنيا حولنا تطورت وسائل زراعة الأرض والصحراء والصخور وزراعة الماء بلا تربة. وبالزراعة بالطول وبالعرض.. والتحكم فى مواسم الزراعة وتغيير حجم الخضروات والثمار والزهور.. .

وقد رأيت فى الأسابيع الماضية عددا من شباب مصر يزرعون سيناء والوادى الجديد وبين القاهرة والأسكندرية.. والقاهرة والإسماعيلية.. ماذا أقول؟؟

إن كانت المصاعب والكوارث والهموم قد حجبت عنا وجه مصر الحقيقى فهؤلاء الشباب هم الوجه الصبوح والأمل الباهر والغطاء الذهبى بكل عملاتنا ومعاملتنا -صدقونى: إننا نحن الذين نضيق ببلادنا خنقنا أنفسنا فى عواصمها، ولكن بلادنا لا ولن تضيق بنا!!

لا تستعجل !

مثل قديم يقـول: مـن لـم يكـن رشيقا فـى العشـرين، قويـا فـى الثلاثين، غنياً فى الأربعين، مستقرا فى الخمسين، فلا مستقبل له..

ولا أعرف معنى هذا الترتيب، لأنه من الممكن أن يبـدأ الإنسـان من النهاية أو قبلها. فيكون عاقلا مسـتقرا، ولكـن المهـم أن يحقـق كل هذه الصفات أو بعضها..

ولكن أهم ما فى المثل هو أن الإنسان فى مرحلة الشباب يجـب أن يحقق لنفسه وهو سـليم البـدن منتعش العقـل شيئا فـى مكانتـه الإجتماعية لا بد فهو قادر على العمل وقادر علـى الراحـة أيضـا لأن الإنسان فى سن متأخرة، إذا أستطاع أن يعمـل ويتعـب. فليـس مـن السهل عليه أن يستريح. وإذا أكل فليس سهلا أن يهضم..

ولكن فى سن الشباب يتعجل الناس بلوغ الأهداف فهم لا يرون إلا الهدف، وينسون الطريق الصعب إليـه، وإذا انتبهـوا إلـى صعوبـة

الطريق، لم يفعلوا ما هو صحيح فبدلا من العمل فإنهم يسرقون وبدلا من إصابة الهدف فإنهم "يتسللون"..

والإنسان فى شبابه لا يصدق مثل هذه العبارة : لا تستعجل فسوف تحصل على كل شيء فى حينه!

فقط يصدقها فى سن متأخرة جدا عندما لا يكون قادرا على الإستعجال، ولا يملك إلا إنتظار النهاية!!

ولا يصدق الشبان مثل هذه العبارة لا تذهب إلى الطبيب عند كل ألم، ولا إلى المحامى عند كل مشكلة، وإلى الكأس عند كل عطش..

لأنه من الصعب أن يصبر على الألم. إنه يريد أن يقفز فوق المشاكل مع أن المشكلة عقدة، والعقدة لها حل والحل راحة قصيرة فى حياة أكثر تعقيدا!!

بل همــوم أخـــرى

كل شيء وكل حيـوان وإنسـان لـه عمـر. فـالذى يبـدأ لابـد أن ينتهى، والذى يولد لابد أن يمـوت، وقبـل أن يمـوت فإنـه يضعـف ويترامى ويسقط.. كأنه يموت قبل أن يموت!!

فالشيخوخة هى الموتة المتكسرة أو الخطوات البطيئة المتكسـرة المهـتزة التـى تسبق السكون الأبـدى.. وكذلـك كـل الأجسـام السماوية حولنا.. فإذا كان عمر أرضنا أربعة ملايين سنة فـلا بـد أن تموت.. أن تنهار.. أن تموت من البرودة أو من الحرارة أو تتحـول إلى تراب و غاز كما كانت ولا بد!!

وإذا كانت بعض العقاقير تساعد الإنسـان علـى أن يتخفـف مـن المرض.. أو حتى ساعدت علـى أن يطـول عمـره عامـا أو عشـرين عاما، فلا بد أن يموت.. ولكن المهم أنه فى الإمكان أن يضيف إلى عمر الإنسان. شهورا وسنين..

إن الكتب القديمة تقول لنا إن متشولم أحد أبناء نوح عليه السلام قد عاش ٩٦٩ عاما -ونحن لسنا على يقين من أن الأعوام فى أيام نوح كانوا يحسبونها كما نحسبها اليوم.. أو هل هى أقصر أو أطول!!

علماء الحشرات قالوا أخيرا: إنه فى الإمكان إطالة عمر الإنسان أو الحيوان أيضا. وكانت البداية أن أحد العلماء الأمريكان قام بتجارب عديدة على ذباب الفاكهة. ولاحظ أن الذبابة من الممكن أن تعيش أطول من عمرها الإفتراضى. فقام بتربية مليون ذبابة: ولاحظ أنه أمكن بالفعل أن تعيش الذبابة أطول من عمرها.. ولاحظ أن الذبابة إذا بلغت سنا معينة فمن السهل أن تعيش إلى ما بعد ذلك تماما. كالإنسان إذا تجاوز الستين فمن الممكن أن يعيش حتى الخامسة والسبعين.. وإذا بلغ الثمانين فمن الممكن أن يعيش حتى التسعين وحتى المائة..

ولكن ليس معنى ذلك أن يبلغ الإنسان ما بلغه متو شالح فإن جسمه ووظائفه الأخرى لها عمرها الإفتراضى..

فلم يعد هناك ساعة بيولوجية فى جسم الإنسان تدق عند سن معينة ويكون ذلك دعوة لكل الوظائف أن تتوقف فورا.. إن عمر الإنسان مثل مدار سفن الفضاء.. فهى تدور فيه ومن الممكن أن تعلو وأن تهبط فوق المدار.. ومن الممكن أن تبقى السفينة عاما وخمسين عاما.. ولكن لابد أن تسقط..

أبونا آدم عليه السلام عاش ٩٦٠ عاما.. وكان عمره الإفتراضى ألف سنة.. ولكن عندما علم أن النبى داود -وهو أحد أحفاده- قصير العمر طلب من الله أن يأخذ من عمره ويضيف إلى عمر داود.. فليست تضحيات الآباء فقط هى التى تقصف العمر.. ولكن هموم أخرى كثيرة ولن تتوقف أبحاث العلماء عند الذباب وإنما هى البداية إلى عمر أطول!!

حـوار .. حـوار ..

الشباب فى العالم فى حالة من الغضب.. وهذا الغضـب قديـم.. بدأ الغضب بنوع من التمرد على السلطة.. سـلطة الأب أو الحـاكم السياسى والحاكم الدينى -إبتداء من ابن نـوح عليه السـلام.. فلـم يشأ الإبن أن يركب السفينة يوم الطوفان..

وقرر أن يسبح إلى أى جبل قريب. ولكن نوحا عليه السلام أكد أنه لا عاصم اليوم من أمر ربـى. فغـرق ابـن نـوح وكـان ذلـك أول عصيان وإحتجـاج فـى التـاريخ.. الإبـن علـى والـده.. الكـافر علـى النبى.. جيل ضد جيل..

وليس يكفـى أن نشـخط وننطـر فـى الشـباب لكـى يقتنعـوا بمـا نقول.. أو بما نحاول أن نرشدهم إليه.. وإنمـا الشـباب فـى حاجـة إلى حوار.. إلى أخذ ورد.. إلى مناقشة.. هذه المناقشة لا نرفع فيها عصـا، ولا يكـون تهديـد بمنـع المصـروف أو تقييـد للحريـة. هـم

يقولون ونحن نقول.. هم يتساءلون ونحن نرد.. نحن نعترض وهم يبررون..

أما الخطب فما أكثرها فى كل المساجد والبرامج.. وأما الحوار فما أقله، وأما التفاهم فما أندره..

فليكن فهم الشباب للدين خاطئا وبعض إجتهاداتهم خاطئة .. فما الحل؟ الحل هو أن نجلس إليهم بعيدا عن العدسات والكاميرات..

ونحن نحترم العلماء ونؤمن بالصدق، وكلنا خائف على الشباب. ولكن لا الشيخ محمد متولى الشعرواى ولا وزير الداخلية لا أحدهما ولا كلاهما قادر على أن "يحسم" هذه الفجوة بين الأجيال.. وإنما كثير جدا من علماء الدين والسياسة والإقتصاد والإجتماع فى وسائل الإعلام وفى الجامعات وفى التشكيلات الحزبية..

فالقضية هى: إلى أين يذهب الشباب أو إلى أين يذهبون بالشباب؟؟

تعالوا إلى رأى سواء: كل الناس من كل لون ونتفق فيما بيننا ما الذى نريد أن نقول.. وما الذى نريد أن نحل.. وما هو حجم المشاكل؟ ما هو الممكن وما هو الصعب وما هو المستحيل.. ما هو الحل المادى والنفسى والإجتماعى والإقتصادى..؟ لكن لابد أن نتحاور ولا أظن أن التليفزيون والإذاعة والصحف هى المكان المناسب دائما.. فإن الأضواء تخطف العقول وتفسد النصيحة التى يجب أن تكون لوجه الله!!

نحــن أقــل شجاعــة

وإذا لـم نشـجع نصـف المجتمـع علـى أن يكـون عــاملا نافعــا ناجحا، فمعنـى ذلـك أننـا فرضنـا عليهـم الفشـل.. وفرضنـا عليهـم الضياع.. وفرضنا عليهم أن يكون على معاش المجتمع..

فكيف يصير شاب متعلم كله حيوية وأمـل ورغبـة فـى أن يعمـل وأن يكون زوجا وأبا وأن يكون خلية عاملة إيجابية في بنـاء مصـر، ثم نتركه يضرب دماغـه فـى الحـائط.. أو نتركـه يتـآمر علـى هـدم المجمتع الذى لم يعطه شيئا.. وحينما لا يكون مدمرا أو مخربا فإنه سوف يتزعزع فى مهب الرفض.. ويهرب من والديه إلى المسـاجد يصلى ويصوم ويتوجه بالدعاء إلى الله فإذا فعل ذلك فمن الذى يلوم عبدا إذا صلى وصام وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله؟!

من المؤكد أننا لا نعرف حجم المشكلة أو نعرف جانبـا منهـا.. ونتجاهل بقية الجوانب.. نحن نقول إنهم خـارجون علـى القـانون.

صح. ولكن؟؟ ما هى الظروف التى أخرجتهم؟؟ لماذا وكيف نعيدهم؟؟

وكيف نصلح حالهم؟ وكيف نعيد لهم القانون ونعيدهم للقانون؟؟ نحن نسأل ولا نجيب ونختار أسهل الطرق وأخطرها أيضا. نضربهم بالنبوت!

ولا خلاف على النبوت فى ضرب الخارجين على القانون.. ولكن ما القانون؟ ولما خرجوا عنه أو خرجوا عليه؟! إننا لا نجيب عن هذا السؤال ونريح أنفسنا فنقول: إنهم ناقصوا عقل ودين.. أو إنهم ناقصوا دين.

وعلى ذلك يجب أن نطلق عليهم الميكروفونات والشاشات والصحف وخطباء المساجد.

يقولون ماذا؟ يقولون لهم: صلوا وصوموا، ولكنهم يصلون ويصومون. يقولون لهم احلقوا لحاكم؟ وماذا لو حلقوها.. فليس طول اللحية دليلا على التطرف: فالمسلمون والمسيحيون واليهود والشيوعيون والفنانون والصعاليك يطيلون لحاهم!!

لسنا جادين ولا شجعان فى مواجهة ما نراه خارجا على القانون أو التقاليد.. فليس النبوت وليس الوعظ والإرشاد وإنما هى زراعة الشباب فى أرض جديدة.. أرض قابلة للزراعة.. وشباب صالح لأن يكون مثمرا. فلا تكون هذه الأرض الجديدة منفى.. ولا تكون (سيبيريا) الساخنة لشباب لا يريد أكثر من أن يكون شبابا نافعا لنفسه وبلده..

ومن المؤكد أننا نريد له ذلك، ونريده لأنفسنا، ولكننا أقل شجاعة وصراحة منهم!!

فى الشرع أيضا

حدث فى إمبابة ما حدث بعد ذلك فى مدينة واكو بولاية تكساس الأمريكية: لقد استولى شخص على مجموعة من الناس وعزلهم عن الدولة –وأمر وتحكم فيهم كما تقول الأغنية من غير ليه..

ففى إمبابة استطاع أحد الإرهابيين وعياله أن يحيط مدينة إمبابة بالخوف والرعب.. حتى أغلق المدينة عليه وعلى زوجاته.. وعزلها عن الدولة تماما. ولم يجرؤ أحد أن يفتح فمه شهورا.. ويقال سنوات.. كيف حدث ذلك على مسافة مئات الأمتار من الحكومة المركزية بالقاهرة؟ ومن الممكن أن يحدث مرة أخرى فى أى مكان. وقد لاحظت أن هذا يحدث فى شوارع القاهرة، فتجد

واحداً قد تطوع بتنظيم المرور فيقف فـى مكـان العسـكرى وينظـم المرور.

ويشخط وينطر ويعترض السيارات ولا يملك النـاس إلا أن يطيعوه. لماذا؟ لأنهم يريدون من يخلعهم من عنق الزجاجة وإختناق الشوارع وعـدم سيولة المـرور.. كـأن السيارات كولسترول فـى شرايين القاهرة تعوق سـيولة المـرور.. حتى يجـىء هـذا المتطوع ويقوم بتسليك قنوات المـرور.. مـن هـذا الشـخص؟ إنـه لا أحـد.. كيـف فعـل ذلـك؟ إن أحـدا لـم يعترض.. بـل النـاس تطلعـوا إليـه كمنقذ.. كمخلص.. كمحرر لهم مـن قلـق الزحـام والخـوف مـن ضياع الوقت.. أى أن هناك إتفاقـا سـريا قـد تـم بيـن جميع النـاس بقبول هذا التطوع والإستسلام له، وقد حدث عشرات المـرات فـى الشوارع.. كما حدث فى إمبابة وفى قرى كثيرة فى مصر؟!

وفى ولاية تكساس ادعىواحـد اسـمه داود قـورش أنـه المسيح وجمع حوله عددا من المؤمنين وانفرد بهم بـالقوة يشرب ويرقـص ويتزوج أى عدد.. وعزلهم عـن الدولـة تمـام.. و أطـاعوه ورفضـوا

تدخل الدولة. حتى حاصروهم وقضت الدولة عليهم. أو سبقوا الدولة فانتحروا..

ولكن واحدا-هو الذى يهم- قال إن سبب هذا السلوك ليس دينيا إنما هو سلوك كيميائى. فالمسيح المزيف كان يحقن أتباعه وجواريه بمواد هلوسة.. تجعلهم يمشون وراءه كأنهم نيام.. وإن لم تكن هذه حقيقة أو هى بعض الحقيقة فإنها تستأهل أن نبحثها وأن نتساءل: ولم لا.. فالإنسان فى إمبابة كالإنسان فى تكساس.. فكل شيء جائز.. فالإنسان يتغير بالماء والهواء كما يتغير بالقدوة الحسنة والقدوة السيئة!

لا تقــاوم الحيــاة

من مزايا هذا الشباب: الخصوبة.. فالشاب يسمع الكلمة تتحول بقدرة قادر إلى قاموس.. إلى ديوان شعر.. فالكلمة لديها قدرة فائقة على التوالد والتكاثر والإنتشار.. ما الذى لا تفعله كلمة (أحبـك).. ما هذا العدد الهـائل مـن الشـياطين والملائكـة والسـحرة والشـعراء الذين يظهرون فجأة..

أى نوع من التربة هذه التى إذا ألقيت فيها ببـذرة قطـن تحولـت إلى بذرة تفاح ورمان وخوخ وأشجار السنط سياجا لهـذه الغابـات التى امتلأت بالطيور المغردة تحت سماء أضاءها قمـر لا يغيـب أمـا الشـيخوخة فهـى الجفـاف.. هـات أردب قمـح وألقـه فـوق دمـاغ شيخ.. فإنه بسرعة يختنق من تـراب القمـح ويبقـى القمـح حولـه.. كأنه إنهيار مقبرة.. أو كأنـه مليـون نملـة ونحلـة.. أو كأنـه مليـون

كلمة هربت من قاموس وتكدست خرساء حول هذا الصنم ما هـذا الذى جرى؟

لا شىء إنها طبيعة الإنسان: كان كل شىء. ولم يعد شيئاً..

كان له ألف ألف لسان وألف ألـف عيـن .. وألـف ألـف ينبـوع يفيض بالحياة والحيوية، ولا يسمع من كل الدنيـا إلا (شـبيك لبيـك عبـدك بيـن أيديـك) .. وشعاعات الشمس ونسمات الأكسـجين والأقمار والكواكب الأخرى كلهـا خـدم وحشـم لعظمـة السـلطان الشاب.

أما في الشيخوخة فقد انفصلت كـل الأشـياء وانقطعـت.. قصـر ذراعه عن الأشياء حوله.. يفتح أذنيه فلا شىء يبلغها، يبحلـق بعينيـه فلا شخوص ولا ظلال.. ابتعدت الدينا؟ نعم.. تلاشت؟ نعم.. ابتعد هو وتلاشى ولم يعد أحد يحس به ولا هو يحس بأحد؟ نعـم . لأن الحيـاة: اشـتباك وتشـابك. اشـتراك وشـركة.. أمـا المـوت فهـو: انفضاض وإنقطاع..

رأيت فيلما إيطالياً انتهى نهاية بليغة فخمة استغرقت النهاية لحظة واحدة. طفل على صدر عجوز يداعبه.. صرخ الطفل فقـد انطبقـت

عليه بسبب حركة عصبية أسنان العجوز، فلكي يستخرجوا أصابع الطفل حطموا أسنان العجوز التى ماتت. وانتهى الفيلم!!

فأن يصاب طفل صغير بضرر، هذا ما لا ينبغى.. وأن يصاب عجوز.. فطبيعى.. وحتى لو أدت الإصابة إلى موته فلن ينقذه أحد.. ولا أحد يلوم أحدا إذا لم يفعل.. فلا يصح أن نقاوم الحياة. أن يموت العجوز وأن يعيش الطفل!!

الحــــب فينـــــا ..

لولا هذا الغضب -هذا السخط- هذا التمرد- هذه الثورة على الأوضاع القائمة فى أى زمان. ما كان التطور.

فالتطور هو محاولة الإنسان بكامل عبقريته، أن يصنع ما هو أفضل وأجمل وأرخص وأكثر تخفيفا لمتاعبه. والشعوب التى لا تعرف الغضب، سوف تبقى جامدة.. سوف تبقى ظلا لكل الظروف.. بينما المطلوب أن تسبق الظروف وأن تضىء لخطوات جديدة إلى الأمام..

وشباب لا يعرف الغضب، ليس شباباً، وإنما هم شيوخ وإن كانت شهادات ميلادهم تؤكد عكس ذلك.. فالشيخ هو الذى أدرك أنه عند نهاية الخط وأنه معلق من مظلة تقترب من الأرض.. فهو يريد أن يكون الهبوط هادئا، غير أن بعض الشيوخ لديهم عقول وقلوب شابة، والتاريخ يحفظ لنا عددا هائلا من أصحاب القلوب

الشابة الغاضبة الساخطة التى أبدعت وطورت رغم أنها على نهاية الخط..

والشاعر القديم يقول:

نعيب زماننا والعيب فينا   وما لزماننا عيب سوانا

فالزمان هو نحن.. وإن كان هناك عيب ففينا وعلينا إصلاحه.. وهذا ما نفعله جيلا بعد جيل.. وهذا هو التطور العلمى والأخلاقى والإجتماعى..

ويروى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها كانت تردد بيتاً للشاعر لبيد، يقول:

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم

وبقيت فى الخلق كجلد الأجرب

وكانت تعلق على ذلك بقولها: رحمه الله فكيف لو رأى هذا الزمان!! وقال الشاعر عروة: رحم الله أم المؤمنين، فكيف لو رأت هذا الزمان..

وقال هشام: رحم الله عروة فكيف لو رأى هذا الزمان؟؟

وكيف لو رأوا جميعا هذا الزمـان ليعكفـوا علـى إصـلاح النـاس والأشياء والعلاقات والسبل التى تروح وتجىء طالعـة نازلـة، سـامية منحطة..

ولـو بقـى علـى الأرض إنسـان واحـد، لشـكا الوحـدة والملـل والبؤس ولقال: رحمهم الله جميعا.. فكيف لو رأوا نهاية الزمان!!

جيـــل بلا شهـــداء

مساكين شباب مصر إذا حاولوا أن يفهموا ما الذى حـدث فـى الأعوام الأربعين الماضية.. لا بـد أن يقلبـوا مـا كتبـه المؤرخـون - وأكثرهم من الهواة.

عندهم قـدرة على الكتابة ولكن ليس عندهم أدوات البحث العلمى. ولا تعلموا من العلم النزاهةوالوضوح.

واحد يكتب وكأن الوحى قد نزل عليه. فكل ما يكتب مقدس.. فالسماء قد انطبقت على الأرض وأبطاله أنبياء إلا قليـلا.. أصحـاب رسالات وكل الكون من أوله لآخره يقف ضدهم، ولذلك فالهزيمة هى النهاية المؤكدة، فمن الذى يستطيع أن يواجه القدر وأن يتغلـب عليه.. لا هو ولا أحد.. ولذلك فالهزيمة هى النصر.. لأنه لا أحـد يستطيع أو استطاع أن ينتصر على السماء!!

وواحد يكتب بقلم الشيطان، فكل ما حدث "مقلب" فى مصر وفى شعبها والشعوب العربية.. والشيطان أحيانا يكون أمريكياً أو روسياً أو إسرائيلياً.. فالشيطان عنده هذه القدرة على أن يكتب بكل قلم وأن يوقع بإمضاءات مستعارة.. فالسماء إذن قد انطبقت على الأرض فسحقت الناس ومصير الناس..

وواحد يدعوا إلى الكف عن القراءة فورا.. وإلى البحث عن كتب أخرى وأقلام أخرى.. وأن يعكف الشباب على قراءة شىء نافع فى الدين.. ما دامت الدنيا قد ساء تفسيرها ومسارها ومصيرها.. والهرب أفضل من المشاركة أو الإلتحام أو الإلتزام بأى شىء.. ومن مظاهر الهرب: التعصب لرأى واحد.. والتقوقع على نظرية واحدة.. والوقوف على رأى شيخ واحد أو كبير واحد.. أى شيخ وأى كبير ما دمنا نعيش فى زمن لا شيخ له- وشيخه الشيطان من لا شيخ له!!

وعليه العوض فى هذا الجيل الذى لم يجد له مرشدا ولا هاديا إلى صراط مستقيم.. والأمل فى الجيل الذى يليه.. الذى لا يدين بشىء لهذا الجيل والجيل الذى قبله.. وسوف يكون الجيل القادم

أكثر حرية.. فهو لم ينتمى ولم يرتبط.. ولا شكر أحدا.. ولا اعتنق ولا كفر بأى من نظرياتنا.. ولذلك فسوف ينسج لنفسه علما وعباءة، ويضع لنفسه مصباحا،ويرصف طريقا لا يمر بمقابر شهدائنا.. سوف يكون جيلا بلا شهداء.. هل أفضل هل اسوأ؟ هذا شأنه وذاك قدره ورسالته ومستقبله!!

ليســت دينـــية

ونحن لا نتهم أحدا عن الذى حدث فى مصر..

ولكن من الممكن أن نقول أن الإهتمام عندنا بالشباب خطأ.. فنحن نتوهم أن الشباب هم الذين يلعبون كرة القدم أو يتفرجون عليها، وأن وزير الشباب هو الذى يجرى كل يوم الصبح، وأنه يرتدى قميصا بلا كرافتة.. بس كده!!

لا هذا هو الشباب ولا هذا هو وزير الشباب ولا هذا حل لمشاكل الشباب. فالتشخيص خطأ، وإن كان هذا علاجا فهو خطأ أيضا..

وقد نتصور أن يوسف والى هو المسئول عن حال الشباب فهو يعطى الأرض بلا ماء ويعطى الماء بلا كهرباء، ويعطى الكهرباء بلا قروض،ويعطى القروض بلا تجارب فى حرث الأرض وزراعتها. ويعطى كل ذلك بلا خطة قومية بعيدة الأجل..

ولا حتى هذا هو العلاج ولا الرجل هو المسئول وحده عن الدوخة التى يلقاها الشباب فى الأرض الجديدة بين الرمل والسماء والكهرباء والماء..

ولا يمكن أن يكون حسب الله الكفراوى هو السبب.. فيقال أنه ملأ الشواطىء بالقرى الجديدة.. وزرع الأرض الخالية فى مصر بغابات من الخرسانة المسلحة، إستراحات لأغنياء مصر وأنه بذلك قد أوغر صدور الشباب الذين لا يجدون غرفة واحدة يعيش فيها العروسان الجامعيان إلى أن يفتحها الله عليهما، فيجدا شقة أكبر!! ولا يقال ذلك حتى لا تتحول حسنات الكفراوى إلى خطايا يستحق عليها الطرد من سجلات التاريخ ولا يقال أنه الشيخ متولى الشعراوى الذى جمع الناس حوله يعلمهم أصول دينهم فكأنه بذلك يصرفهم عن الإهتمام بالعلوم الحديثة الأخرى..

ولا يقال أنه الرجل المستنير د.سيد طنطاوى هو أقل العلماء تزمتا.. وأن عقليته المستنيرة تحير الناس بين الذى يقوله هو والذى يقوله غيره من العلماء ..

ولا حتى هذا كله. إذن فما هى المشكلة؟؟

نعود إلى ما بدأت.. إنها ليست مشكلة دينية وإنما هى مشاكل كثيرة كيماوية وإجتماعية وإقتصادية وسياسية. وعندنا فقهاء فى كل العلوم. والمصيبة عامة وتزداد حدة مع كل طلقة رصاص من هناك

نحاورها ولا نرفضها

فى قضايا التطرف فى مصر.. ما المعنى؟ ما السبب؟ ما الهدف؟؟

لا أحد ضد قضايا التطرف الدينى أو السياسى.. فهى جميعا تدخل تحت الرأى الآخر..من حقك أن يكون لك رأى آخر، غير رأى الدولة أو الحزب الحاكم.. أو أى حزب يعارض الحزب الحاكم.. من حقك أن تتطرف فى التفسير السياسى والإقتصادى والدينى..وأن تكون أهلاويا أو زملكاويا أو دقهلويا. أنت حرا! وأن تشخط وتنطر وأن تزعق وأن تقفل التليفزيون وتفتحه مع وضد أى صوت وأى وجه وأى رأى وأية مباراة.. وأن تتعصب للشاى الإنجليزى والعطر الفرنساوى والسيارات الأمريكانى والعقاقير الألمانية.. أنت حرا! وأن ترفع صوتك ويدك ايضا -بشرط أن تنزل

يدك على إحدى المناضد أو الحائط وليس على رقبة أى إنسان آخر!!

ولكن نحن يجب أن نقف صفا واحدا ضدك عندما تفرض رأيك بالقوة. أى أن تعتدى على حريات الآخرين وسلامتهم..

وفى الوقت نفسه ليس من حقك أن تعالج مثل هذه المواقف بإطلاق البخور حول أصحاب القرار العنيف.. لأن هذا إستغفال للناس، ولأن هذا علاج خرافى لمرض حقيقى. ولأن هذه إهانة للعقل والعلم.. وهذا يعود بنا إلى الخرافات القديمة وهى علاج نهر النيل كرجل عجوز يتصابى ويحتاج إلى عروس يلفها فى حضنه لكى يسكت!!

ولكننا نفعل نفس الشىء.. فالخطب والرحلات الخطابية إلى مجاهل الصعيد، علاج لمرض العنف هو إحياء لنفس الخرافات..

وعندما جاء اللواء عبد الحليم موسى وزيرا للداخلية، كنت أول من جلس إليه يحاوره، بل إننى قلت له دعنى أفكر بصوت عال، وأرجو أن "يصححنى".. فوافق على كل الذى قلت وطلبت إليه أن يكون حوارا، وليس بالضرورة أن يكون هو الذى يحاور.. وإنما أن

نفعل جميعا ذلك .. تماما كما تحاورنا مع أعدائنا وتفاوضنا . ولم نتفاوض مع الجماعات العنيفة . والسبب أننا نرفضهم ، تماما كما نرفض كل الأمراض.. ولكن الأمراض نرفضها ونعالجها .. ولسنا نرفضها ونرفض العلاج معا

الدجاجة لا تطير

ساعدت عددا من الشبان على الهجرة إلى استراليا. إنهم سبعة من المهندسين أربعة شبان وثلاث فتيات وجلست إليهم طويلا. وتناقشنا . وأسعدنى كل الذى سمعت . عندهم خطة. وعندهم أمل مدروس. ومستقبل مضمون. لقد ذهب ثلاثة إلى استرالتا واقاموا شهورا بالقرب من مدينة برث حيث يوجد جالية مصرية كبيرة. وقد عادوا وألفوا كتابا عن يومياتهم. ماذا رأوا ماذا عرفوا ماذا اكتشفوا .وجلسوا جميعا يناقشون هذه الملاحظات والتجارب والمشاكل والحلول. وقرروا. وكان قرارهم أن الهجرة إلى استراليا أحسن وأجمل وأمتع وأرفع. ولكن من الذى يبقى فى مصر؟ من الذى يبنى ومن الذى يحمى. وإذا هاجر كل المتعلمين فهذه عقوبة لاتستحقها مصر ولا الأجيال القادمة. الذين بنوا بلادهم. بنوها

بأيديهم وهـم علـى أرضهـا أو بفلوسـهم وخبرتهم وهـم فـى بـلاد أخرى. وهم قد ذهبوا إلى البلاد الأخرى وعرفوا مـا هـو ضرورى. ورجعوا وقد امتلأت أيديهـم بالتجـارب وعقولهـم بـالنور وقلوبهـم بالفرحة.

وتلقيت منهم برقية يشكرون فيها د. كمال الجنزورى على قراره بعـدم إهـدار الأرض المزروعـة مـن أجـل إقامـة بيـت علـى جثـث المحاصيل الزراعية والأشجار. وقالوا أن هذه جريمة فـى استراليا . ومرتكبها يدخل السجن شهورا وأحيانا يبقى فيه سنين. فقتل شجرة مثل قتل طفل. وإبادة حقـل مثـل الإبـادة الجماعيـة أو مثـل إطـلاق أسلحة الدمار الشامل على ما لا نهاية له من الأحياء..

وكان لى صديق. وكان عنده أمل كبير. وكان عنده ألف فـدان. وكان من آماله أن يزرع وأن يصنع. وأن يعلم الشباب كيف يكـون البناء عاليا .. وأن تكون الحياة رضية. هذا الشاب ترك مصـر غارقـا فى ديونه. لقد أخطأ. أما غلطته فهى أنه بدأ مـن النهايـة. فقـد أقـام البيوت وأحواض السباحة والملاعب وأقـام الصـوب قبـل أن يـزرع الأرض ويشق الطرق والقنوات والتليفونات والكهرباء. وجاء الشبان

يلعبون ويرقصون ويطبلون ويزمرون .. قبل أن يقلبوا الأرض ويزرعوها ويقلموها ويتعلموا منها ..

غلطة: أن آماله أكبر من طموحاته .. أراد أن يعلو كالنسر بأجنحة الدجاج فوقع ..

أدعيـاء الطـب ..

كما تفعل السيدة أمام فترينات البوتيكات فى شوارع قصر النيـل والشواربى وطلعت حـرب ، فـاننى أفعـل نفـس الشئ وأسـوأ أمـام فترينات الصيدليات فى كل العواصم فأنا أقف مبهوراً أمام منتجـات شركات الأدوية العالمية. وتبهرنـى الزجاجات بألوانهـا واحجامهـا المختلفة وعلى خلاف ما تفعل السيدات فأننى أشترى من أول نظرة .. وبـلا مناقشـة وكمـا تفعـل السيدات تمامـا فـأننى أشـترى مـالا ضرورة له ، ولمجرد أن أقتنى فى مكتبى عددا من الأقـراص الملونـة والحبوب المستديرة والمستطيلة والمزخرفة. لماذا؟ هذا هو السؤال الذى لا أواجه نفسى به إلا عندما أكون متمدداً أمام الأطباء وكثيرا ما يحدث ذلك فأنا قـد شـخصت أمراضـى بأنهـا الحساسية للبرد

والزكام وأوجاع المصران الغليظ ، ثم الأرق. وبناء على هذا التشخيص فأنني اشترى كل ما ابتدعه الانسان لعلاج هذه الأوجاع.

وهنا أقف فى طابور طويل جدا يلف الكرة الأرضية ألف مرة : طابور المرضى الذين جعلوا من أنفسهم أطباء لكل مرض ، دون أن يكون لديهم أى مؤهل علمى . وإنما مؤهلهم الوحيد: الخوف والجهل . خوف الجاهلين. أو جهل الخائفين أما النتيجة فهى أننى مصاب بأوجاع لا يستطيع الطب أن يعرف سببها . لأن هذه العقاقير إذا دخلت المعدة دارت بينها معارك كيماوية . فكثير ما تعارضت الأدوية بعضها ضد بعض فالذى يصلح للمصارين يوجع القلب والذى يصلح للزكام ينفخ البطن .. ويتمدد الواحد منا نحن الملايين أمام الاطباء .ويحار الأطباء . ونسخر نحن من الأطباء. ونتهم الأطباء بالجهل ونترحم على الحكيم بقراط الذى لم يره واحد منا ..

منذ أيام تمددت على الفراش وجاء الطبيب الكبير حسين بدر الدين وقال لى : مالك؟

قلت له : شوف أنت؟

ودارت مناقشة تقليدية تدور فى ملايين البيوت : كيف يعرف الطبيب أوجاع مريض لا يتكلم؟ هل الطب قراءة فنجان أو قراءة كف أو قراءة الطالع؟ لا بد أن يقول المريض للطبيب. ماذا أحس وماذا أكل وماذا شرب .. وأهم من هذا كله ما الذى أخذه من العقاقير؟ ومن الذى اعطاها له؟ ولماذا ومتى وكيف؟ وكم مرة؟

ويصبح دور الطبيب مثل دور سكرتير الأمم المتحدة : فإنه يجئ متأخر جدا .. أما العلاج فإنه مثل طوق النجاة الذى يلقى لواحد غشيم نزل البحر بعد أن يكون الغشيم قد غرق تماما ..

إن الأطباء يواجهون دائما نوعين من المرضى: المرضى وأدعياء الطب.

هذه الأخطـار لماذا ؟؟

لاحظ نفسك كل يوم ، ففى بعض الأيام تجد أنك فى غاية النشاط. تريد أن تقفز من السرير إلى الشارع إلى الأتوبيس وأن تجلس فوق مكتبك .. وتسع ذراعاك لاحتضان كل الناس .. وفى يوم تجد أنك مهدود الحيل كأنك نمت تحت السرير وليس فوقه ، وكأن وابور زلط قد فعصك طول الليل ، وأنك غير قادر على أن تحرك ذراعيك وقدميك .. وتحاول ما استطعت أن توقظ هذه الأعصاب النائمة فتلقى عليها القهوة والسجائر .. ولكن لا حياة لمن تنادى .. فأعصابك مثل أسلاك ليست فيها حرارة .. وترفع يدك كما ترفع سماعة التليفون ولا تسمع ذلك "الور" الذى يمكنك من أن تطلب من عقلك أن يفكر ومن همتك أن تنهض .. لا شئ .

وهذا يحدث لكل إنسان فـى كـل وقـت وفـى كـل سـن . فمـا المعنى؟·هذا ما التفت إليه عالم ألمانى فـى بدايـة هـذا القـرن أسـمه فريز فليس..

فقد لاحظ أن النشاط ككل شئ له بداية ونهايـة .. كـالجبل لـه سفح وله قمة .. هذا هو نشاطك الجسمى . وأما نشـاطك النفسـى أو العاطفى أو الوجدانى أو رغبتك فى الاجتمـاع بالنـاس والجلـوس والقدرة على الإبداع والخلـق واتخـاذ القـرار فليـس بنفـس الدرجـة طوال أيام الشهر..

هذا الرجل الألمانى لاحظ أيضا عددا مـن النـاس .. بالمئـات .. وراح يحسـبها : لمـاذا يرتكـب النـاس الأخطـاء الفظيعـة؟ ولمـاذا يغضب الناس؟ ووجد السبب: إنها الحالة الجسمية التى دورتها ٢٣ يوم والحالة الوجدانيـة التـى دورتهـا ٢٩ يـوم والحالـة العقليـة التـى دورتها ٣٣ يوما ..

ولكنه لم يذهب إلـى أكـثر مـن هـذه الملاحظـة . ولكـن بعـض الناس الواعين جعلوا هذه النظرية "حسـابها إلكترونيـا" أطلقـوا عليـه

أسم "ببولاتور" .. أى ذلك الجهاز الذى يحسب لك الإيقاع الحيوى - أى البيورذم - والذى يدلك على حالتك العامة يوما بيوم

وأنا منذ أسبوع ألعب بهذا الجهاز وأحاول أن أفهم .. وقررت أن أمتحن الجهاز . فإذا نجح صدقته ، وإذا فشل أضفته إلى شطحات العقل الذى يريد أن يعرف كل شئ.

أما التجربة فقد حددت يوما من سنة ١٩٦٠ كتبت فيه مقالا عاقبنى عليه الرئيس جمال عبد الناصر بالفصل من عملى كمدرس فى الجامعة ورئيس تحرير لمجلة "الجيل" وجاء رد الجهاز أن حالتى الجسمية جيدة وحالتى العقلية جيدة أما حالتى النفسية فهى من أسوأ ما يكون!

معقولة جدا ! لقد صدقت أيها الساحر الجديد !

واحد مسكين ..

عندى حساسية للأدوية والأطباء فقد مرضت أمى وأبى طويلا ، وتحيرت وتلطعت على العيادات والمستشفيات ومخازن الأدوية وأسرفت على وزارء الصحة ، بحثا عن الأدوية النادرة . ولذلك فلا يكاد يطلب منى صديقى أن أبحث له عن الدواء الفلانى ، حتى أجدنى لا شعوريا أجرى يمينا وشمالا بحثا عن الدواء.

إلا هذه المرة . فقد سألنى صديق أن ابحث له عن أقراص الرتالين .. وأدهشنى أننى تكاسلت وأننى نسيت .. وتعجبت لحالتى هذه .. ورحت أفتش فى نفسى عن السبب .. وتعبت ثم وجدته . وهذا يدل على أننى نسيت أو أردت أن أنسى هذه الفضيحة .. نعم كانت فضيحة ..فقد سألنى الصديق موسى صبرى إن كنت أتعاطى الرتالين . فقلت: أبدا .. ولا أعرف دواعى

إستخدامه .. فقال: هذا ما قلته لوزير الصحة .. فلا أنت ولا صديقنا أحمد رجب تدمنان العقار..

أما وزير الصحة في ذلك الوقت فقد كان النبوى المهندس. الذى اتصل بموسى صبرى وسأله إن كان أحمد رجب وأنا من المجانين مدمنى الرتالين المهدئ المفرفش . فقد امتلأت صيدليات القاهرة بروشتات لنا مكتوب عليها ضرورة صرف هذا الدواء فورا وبكميات كبيرة .. حتى لم يعد فى القاهرة والجيزة قرص واحد؟!

وعرفنا السبب .. أنه أحد المساكين قد أدمن المخدرات والمهلوسات وحقن الأفيون .. فهو يتهجم على الصيدليات .. ويقتحم مخازن الأدوية ثم يسقط على الأرض وينزف وينقله المتطوعون من عيادة في مصر إلى مستشفى خارجها حتى أصابه الخلل النفسى باضطراب عقلى وشوشرة فكرية .. وأصبحت أفكاره مثل جيوب جاكتة مفتوحة فى استطاعة اى أحد أن يملأها بما يشاء .. ومن مظاهر اضطرابه العقلى أنه توهم أن الناس قد نسوا هذا الجنون والمجنون ! والله كنت قد نسيت هذه الحكاية . ثم اضطررت إلى ذكرها مبررا تكاسلى فى الحصول على هذه الأقراص

دون فـــــائدة

أنا مثلك تماما: لا أثق فى الأطباء وليس هذا الكلام موجهـا إلـى أصدقائى من كبار أطباء مصر . فهذه قضية عامة ، والله وحده يعلم الداء والدواء ، والأطباء يحاولون أن يتعرفوا على قدرة اللــه وهـم لا يزعمون لأنفسهم هذه القدرة على المعرفة ، ولا القدرة على العلاج إذا عرفوا ، وإنما هم أناس حسنو النيـة إذا كشـفوا علـى المريـض ، وسيؤا النية إذا قبضوا الأجر . فاللـه وحـده هـو الـذى يشـفى ، وأن كان الأطباء هـم الذين يقبضون القروش بعد ذلك!

ولكن إذا عرفت ما الذى يتعلمه طلبة كليـة الطـب ، فأنـا وأنـت معذور فطلبة كلية الطـب بـالألوف . والمدرجـات والمعـامل التـى يتكدسـون فيهـا لا تمكنهـم مـن سـماع محـاضرات الأسـاتذة أو مشاهدة العلميات الجراحية التى يقومون بهـا أمـام الطلبـة. ولذلـك نجد الطالب لا هو قادر على الرؤية ولا قادر على الإستماع ولذلك

كانت محاضرات كليات الطب أقرب إلى طوابير الجمعية أو طوابير السينما أو الأتوبيس.. زحام فى زحام ثم إنصراف بعد ذلك مع كثير من اليأس فى الحصول على حل..

وكان من الطبيعى أن يأخذ الطلبة دروسا خصوصية. والدروس الخصوصية غالية الثمن.. وبعض الأساتذة يفضلون إعطاء هذه الدروس بالعملات الصعبة. وفى الدروس الخاصة تظهر جثث الموتى.. فهناك عدد من الحانوتية -أو الحانوطية نسبة إلى الحانوط والتحنيط- يقومون بتوريد جثث الفقراء والمساكين إلى الأساتذة، ولكن ليس كل الطلبة قادرين على الدفع بالعملة الصعبة ولا على الدفع بالعملة المصرية، وتكون النتيجة أن القادرين على الدراسة العملية قليلون جدا. وأكثر هؤلاء القليلين من أبناء الدول الشقيقة أى الذين يتعلمون نظريا وعمليا إذا تخرجوا لن يستفيد أحد منهم فى مصر.. أما الأغلبية من الطلبة فهم هؤلاء الذين يتزاحمون دخولا وخروجا من المدرجات والمعامل دون فائدة..

مرضك : سر !

إتحاد الأطباء فى بريطانيا له مشكلة أخلاقية، وقد اتحـد الأطبـاء على التمسك بهذه القاعدة الأخلاقية مهما كانت النتائج..

المشكلةِ أن بعض المؤسسات تطلب من الذين يتقدمون للوظيفة أن يأتوا بتاريخ حالتهم الصحية.. يعنى يجب على طالب الوظيفة أن يذهب إلى الطبيب الخاص أو المستشفى الذى عولج فيه يطالب بسجل حالته الصحية.. ما هى أمراضه، كيف عولجت، ما هى العلميات التى أجريت له.. خصوصا الأمراض العصبية والنفسية والعقلية.. فإذا أتى بها فإن المؤسسة تنظر فى تعيينه أو الإمتناع عن ذلك. فرفض الأطباء لأن هذا سر من أسرار المهنة.. أو هو السر الذى بين الطبيب والمريض، ويجب ألا يباح به لأى أحد أو لأية هيئة!! وأن هذا إذا حدث ذهب إحترام المرضى للطبيب..

والأطباء حريصون على ذلك حتى الموت.. أى موتهم هم. فقد هددتهم الشركات والمؤسسات إن لم يفعلوا ويستجيبوا، فإنها لن تستعين بالطبيب أو المستشفى الذى يرفض ذلك!!

فما الحل إذا كان المريض هو الذى يطلب ذلك ليقدمه بنفسه للمؤسسة التى يريد أن يعمل بها؟؟

بعض الأطباء أعلن ولا هذا. لأن المريض يكون واقعا تحت ضغط. وهذا الضغط سيجعل الأطباء أقل تمسكا بالمبدأ الأخلاقى الذى هم حريصون عليه..

كما أن الطبيب لا يصح أن يقول أن كان فلان يتردد عليه.. ولا يصح أن يذكر السبب.. ولا يصح أن يفصح عن العلاج أيضا.. فكل هذه أسرار لا تذاع مهما كان السبب، والناس يزدادون إحتراما للأطباء لأنهم لا يذيعون أسرارهم الخاصة مهما كانت صغيرة. فليقل المريض ما يشاء عن نفسه، ولو سأل الطبيب فإنه عادة لا يرد -يجب أن لا يرد..

وقد رفض أحد إتحادات الأطباء مطالب المؤسسات. وحاولت هذه المؤسسات أن تخترق الإتحادات الطبية وأن توقع فيما بينها.

وفجأة أعلنت الإتحادات الطبية رفضها لأى طلب من أية مؤسسة لإذاعة أسرار أى مريض حتى لو أدى ذلك إلى عدم الإستعانة بالطبيب -إننى أنحنى إحتراما للأطباء الذين يحترمون أنفسهم فيزداد إحترام الناس لهم!!

الحيوانـــات تنقـــرض ..

الفرق بين الحدائق المفتوحة وحدائق الحيوان: إنـه فـى الحدائـق المفتوحة (السفارى) يكون الإنسان محبوسا فى سيارة والحيوانـات على حريتها.. وفى حدائق الحيوان يكون الحيوان حبيسا والإنسان طليقا!!

وقد لاحظت جمعيات حماية البيئـة، بيئـة الحيـوان والنبـات، أن الحيوانات تتعذب كثيرا بسبب عدم قدرتها على التكيـف مـع البيئـة التـى صنعهـا الإنسـان.. مهمـا كـانت هـذه البيئـة قريبـة مـن البيئـة الطبيعية.. فتكون للقرود جبلاية، وللدببة ثلاجة.

ولاحظ علماء السلوك الحيوانى أن هذه الحيوانات لا تكف عـن الحركة والدوران حول نفسـها.. وسـبب ذلـك إنهـا اعتـادت علـى المشى طويلا.. ولكن هذا المشى يجعلها تستخدم الأنف والأذنيـن

فى رسم خرائط البيئة حولها.. ثم إنها تشمشم فى الأرض بحثا عن الماء فقد اعتادت ذلك هى وأجدادها من ملايين السنين.

فحركة الحيوانات داخل أقفاصها دليل على القلق واليأس من أن تعود إلى ما كانت عليه.. ثم إن هذه الحركة هى نشاط زائد، ولكنها لا تعرف كيف تبدده أو تجدده.. وهناك حيوانات تحاول تحطيم الأبواب والأسوار.. وحيوانات تلعق الأبواب والأسوار الحديدية.. وبعض الحيوانات تصاب بالجنون أو الهياج المستمر..

والزرافة التى اعتادت ملايين السنين، أن تمد عنقها إلى أعالى الشجر، حتى طال عنقها، لم تعد تفعل ذلك، بل إن العنق قد انحنى والتوى فى حدائق الحيوان فى لندن وروما.. وغيرها..

وقد تنبهت (جمعية رعاية الحيوان فى حدائق الحيوان) إلى ضرورة نقل الحدائق كلها إلى خارج المدن.. على أطراف الغابات أو أطراف الصحارى من أجل إعطاء هذه الحيوانات مساحات أكبر -حرية أكبر تخفيفا لتوتراتها..

وقد لاحظوا أن هناك حيوانات لم تعد تنجب.. وحيوانات ترفض المعاشرة مثل حيوان الباندا الصينى.. وإذا استمرت هذه

الحيوانات تعانى من ويلات الأسر والنفى بعيدا عن بيئاتهـا الطبيعيـة فسوف تنقرض بالمرض أو عدم الإنجاب...

وقد سجلت إحدى حدائق الحيوان فى أمريكـا أن وحيـد القـرن يدق رأسه فى الحائط.. وبعد ذلك انتحر بأن فتح فمه الكبير واندفع نحو عمود من الحديد.. ومات!!

الرجـــل أقـــل تحمـــلا !

الطبيب الإنجليزى يسأل المريض عادة: تحب أن تتألم كثـيرا أو قليلا..

أو تريد ألا تشعر بأى ألم؟

ويتساءل المريض: لا أريد أن أتألم هذا طبيعى.. هل أحد يختـار الألم؟

يقول الطبيب: بعـض الناس.. ولكـن أردت أن أعـرف بـالضبط كيف يكون إحساسك إذا أنا لم أعطك حبوب قاتلة للألـم؟ فـأقول أنا نعم. أريد أن أعرف شدة هذا الألم ومدى قدرتى علـى احتمالـه. ثم أتعاطى ثلاث حبات قاتلة للألم. لكـى أعـرف هـذه النعمـة التـى تسديها الكيمياء للجراحة..

ولو خيرونى بين وخز الضمير .. لأن ألم الضرس عبارة عن سكين يدق مسمار مشتعلا فى إنسان العين .. وهذا المسمار ليس ناعما ولا رفيعا ولا مستقيما .. أحيانا له صفات النار أحيانا له لمس التراب .. أحيانا له حركة الأفعى - ولكنه فى كل الأحيان عبارة عن سلك كهربى رفيع عالى الضغط له قدرة عصا موسى عليه السلام .. فإنها تأكل كل الأوجاع الأخرى وتجعل منها وجعا متحدا ضدى - مع أننى أنا الضحية!

هناك عبارة فى "التلمود" تقول: أن الآلهة من الممكن أن تشطر الرجل نصفين!

والرجل أقل قدرة على تحمل الألم من المرأة .. فمن الممكن أن يموت الأب حزنا على ابن ، ولا تموت الأم .. وكأنها تريد أن تكون فى حالة حداد دائم تحيى ذكراه .. أو كأنها تريد أن تظل حتى الموت تمشى فى جنازته .. فألم المرأة نفسى ، وألم الرجل جسمى .. ولذلك يموت الرجل كمدا وحزنا لأن "الآه" يرددها وراءه كل عضو وكل خلية .. فإذا به يتمزق ويتقطع ألف قطعة!

قال لى طبيب مصرى: أن الألم ضرورى للإنسان .. فإحساسه الألم يشحذ أجهزة المقاومة والمناعة فى جسمه .. وهذه الأجهزة السحرية أقوى وأكثر فعالية من كل العقاقير وقاتلة للألم .. وربما كانت رغبة الإنسان فى ألا يتألم سببها ، أن لديه الكثير مما يوجعه فليس فى حاجة إلى مزيد !

والحكيم بوذا كان يقول: الصحة إرادة .. والمرض إرادة .. والألم إرادة . ولذلك يمشى الناس على النار لإنهم أرادوا ألا يتألموا .. فلم يتألموا ..

حاول قدر استطاعتك !

طريـــق المـــوت

عندى نموذجان لتلوث البيئة والسموم يشربها ويأكلهـا ويشـمها الناس، ولا أرى أى إتجاه رسمى لإنقاذ الناس مما يفعله الناس..

المثل الأول: طريق الموت.. الطريق الممتد إلى مدينـة حلـوان.. لا يوجد فى العالم كله - حسب إحصائيات الأمم المتحدة -شارع به مثل هذا القدر من السموم الخانقة.. فإذا ذهبت إلـى طـرة وإلـى حلوان فالناس يدفنون أحياء. أنا ذهبت وكـدت اختنق، ولا أعـرف كيف يسكت الناس على دفنهم أحيـاء.. فمصـانع الأسـمنت تـوزع الموت بالعدل على كل الناس.

هذه حقائق علمية مؤكدة!!

الأشجار ماتت والمزارع.. اللون أصفر.. والأوراق ذابلة والأغصان منكسة.. والناس لا يختلفون كثيرا عن هذه الكائنات الحية.. ولا يزال القتل مستمراً!!

والمثل الثانى ترعة المنصورية فى الطريق من شارع الهرم إلى الهرم إلى أبى الهول.. حيث يوجد أكبر تكدس سياحى.. وحيث تقوم الترعة بأكبر معرض مهين لكرامة الإنسان وصورته فى الدنيا كلها.. فهنا يجد السائح تكذيبا رسميا لكل أشكال الكلام عن التطور ومصر الحديثة.. فالترعة يأكل ويتبول فيها الإنسان والحيوان.. والترعة تصب فيها الزبالة والمجارى.. والسيارات المرسيدس تقف أمام البيوت التى ينزل أصحابها يغسلون الأطباق والحلل إلى جوار الحمار والحصان والجاموس أما لون الماء أما رائحته أما الحيوانات الميتة أما الأطفال الذين يستحمون.. فصور ذلك قد سافرت ملايين المرات إلى أركان الدنيا!!

نحن لا نلوم السائحين الأجانب ألا يصوروا الشوارع الجميلة فى القاهرة، ففى بلادهم مثلها وأنظف وأطول وأعرض، ولكن هذا الذى يفعله المصريون فى المنصورية فهو أعظم مؤتمر صحفى

سينمائى لتكذيب كل ما تقوله نشرات السياحة وخطب الوزراء عن نهضة مصر وحرصها على المساهمة فى ترقيع طبقة الأوزون الذى يلف الأرض.. إن البداية هنا فى الترعة الوحيدة فى مصر التى يراها ألوف السائحين ذهابا وإيابا.. هنا تتبدد ألوف الملايين عندما تنزل فلاحة واحدة على رأسها طفلها العريان وفى يدها الأطباق والحلل!!

هذا الجمل حرام ..

الأكل عادة. فأنت اعتدت على لحم البقر والجاموس والغنم والطيور. ولا تستطيع أن تأكل لحم الكلاب مثلاً.

-لعلك تلاحظ نقص الكلاب الضالة فى القاهرة والجيزة وإمبابة. والسبب هو أن الآسيويين عندنا يطلبونها لجمال طعمها!!

وأذكر أنى ظللت -دون أن أدرى أكل لحم الخيل شهورا فى باريس. فلما عرفت توقفت. مع أننى لم ألاحظ أنه يختلف عن اللحوم الأخرى.. ولا أدرى إن كانت لحم خيول أو حمير. كيف أعرف؟؟

وكل الحيوانات التى تعرفها والطيور والحشرات والزواحف يأكلونها فى آسيا إنها عادة..

ولا أذكر أنى أكلت لحم الجمال.. ولكن الذين أكلوها يقولـون إنهـا لذيـذة وقـد نشـرت الصحـف الأمريكيـة أن لحـم الجمـل هـو الموضة فى السعودية.. فقـد انحسـر العصـر الذهبـى لهـذا الحيـوان الذى كان سفينة الصحراء والذى نقل الحضـارة العربيـة والإسـلامية إلى كل الدنيا..

والسعودية تحاول فى مواجهة التطور الهائل الذى اجتاحهـا فـى الخمسة عشر عاما الماضية أن تحتفظ بالإبل، وأن تحميها وأن تعيد إليها عرشها..

وهذا واضح جدا فى مهرجان "الجنادرية" الـذى يقيمـه الحـرس الوطنى كل سنة.

فيقام سباق البل -أى الإبـل- كـل سنة وتعطـى مكافـأة سـخية للجمل الفائز ولراكبه.. ومنذ شهرين كنت فـى إيـلات فهمـس فـى أذنى أحد التجار وقال لى: عندى مشروع لمصـر. مـا رأيـك؟ هـل تنقله للدكتور يوسف والى؟؟

أما المشروع فهو أن خبراء إسرائيل قد استخدموا علـم الهندسـة الوراثية فى جعل الناقة تلد كل سنة بدلا من كل سنتين، وأن يكـون

وليدها أكثر لحما وأكبر وزنا.. وهذا يوفر على مصر أكثر من عشرين مليون دولار سنويا!! وأنهم فى إسرائيل لن يستفيدوا من ذلك، فأكل الجمل حرام.

- فهم لا يأكلون الحيوانات التى ليس لها ظلف مشقوق. كما لا يأكلون الكائنات البحرية التى ليست لها قشور: كالحيتان والقراميط والجمبرى والسلاحف..

ملحوظة لحم الجمل أقل دهنا وأكثر "فيتامينا" ولبن الناقة أعظم فائدة وأقل ضررا. وكوب لبن مع ثلاث تمرات: وجبة كاملة!!

ساعــاتى القليــلة

طالب من الله ولا يكتر على الله أن أصحـو مـن النوم، أى يـوم الساعة السادسة صباحـا، بـلاش الساعة الخامسة والنصـف.. الخامسة.. ولكن كيف؟؟ لقد استقر كل شىء فى جهازى العصبى على أن يدق جرس لا أسمعه فإذا بى مفتـوح العينين.. جـالس فـى الفراش واقفا متجها إلى مكتبى أصنع الشـاى وأبـدأ فـى القـراءة أو الكتابة..

قال لى بعض الأطباء: ممكن أن يطيل الإنسـان ساعات نومـه.. فالنوم فى يدك واليقظـة.. وهـى مسـألة عـادة أنـت اعتـدت أن تنـام مبكرا فتصحو مبكرا.. والذين ينـامون طـول النهـار يسـهرون طـول الليل. لقد اعتادوا على ذلك. فالجسم بكل وظائفه كما يعتاد. أنـت تصنع العادة، والجهاز العصبى يتولى ضبط بقية الأجهزة على ذلـك. فالعادة هى "البرنامج" الذى تضعه فى الحاسب الإلكترونى للجسم

فيضبط بقية.الأجهزة. والإنسان فى حياته كلها ينتقل من عادة إلى عادة.. فالذى كنت تفعله وأنت طفل غير الذى تفعله وأنت شاب وأنت رجل وأنت كهل.. والجنود لهم عادات والبحارة لهم عادات والطيارون ورجال الأمن والأطباء والفنانون.. وكل واحد ينام فى الساعة وفى المكان وعلى الجانب وقبل أو بعد أن يأكل.. كل واحد يختار مجموعة من السلوكيات تصبح عادة مريحة بعد ذلك!!

قلت للطبيب الفرنسى الكبير د. بارون الذى يستخدم المغنطيس فى علاج الإضطرابات العصبية والعضلية: قل لى يا دكتور: أريد أن أنام ساعة أزيد من الساعات القليلة التى أنامها..

وبعد أسئلة كثيرة عن عملى ومتاعبى ونشاطى اليومى أعطانى سبع قطع من المغنطيس أضعها قبل النوم على أماكن مختلفة من الرأس والعنق.. ثم أكتب له بعد ذلك النتائج..

ولم يكن لها أى أثر. والسبب -فى رأيه- أننى أنشغل بإنتظار الأثر.. وأحاول أن أفهم.. وهذه المحاولة من شأنها أن تبطل مفعول المغناطيس فيطير النوم!!

والعلاج يا دكتور.. قال لى: أرض بقليلك، واحمد ربنا على ذلك، فهناك أناس لا.. ولا .. وأنت أحسن حالا..

شكرا لك يا دكتور فقد أتحت لى فرصة عظيمة أن أشكر الله.. ومن تمتع بقليله عاش أعمق وأهدأ!!

بعد مائة سنة !

كل نصف قرن يخرج لنا من بين أيدينا ومن خلفنا عفريت. هذا العفريت هو المسئول عن كل متاعب الجسم الإنسانى.. مثلا: الحساسية.. ظلت هذه الكلمة مسيطرة على عقول الأطباء والكيميائيين.. فلا يكاد الإنسان يصاب بألم أو مرض حتى يكون الحل أو التفسير هو الحساسية.. أى أن الجسم الإنسانى يرفض أو لا يطيق شيئا ما فى الهواء أو فى الروائح أو فى الأطعمة، وهذا الشيء لاعلاج له.. والعلاج الوحيد هو الإبتعاد عن الزهور.. عن اليود.. عن وبر البطاطين.. عن تراب السجاجيد.. عن مشتقات اللون الأسود والأزرق مثلا..

وبعد الحساسية ظهرت كلمة الكولسترول.. وهو مجموعة من الدهنيات فى الدم.. ويكون من نتيجة ذلك تصلب الشرايين.. فإذا

تصلبت ولم تعد مرنة تتسع وتضيق مع إندفاع الدم، فالنتيجة أنها لاتصل إلى المخ..

والعلاج هو الكف عن الدهنيات وعن الكبدة وعن أكل البطارخ والكافيار والمخ والزبدة والقشدة وصفار البيض.. ثم إن التوتر العصبى من الممكن أن يؤدى إلى زيادة الدهنيات فى الدم!!

والآن ظهر عفريت جديد اسمه: التلوث أو غاز الأوزون.. فكل اوجاع المعدة والمصارين والعينين سببها: التلوث الموجود فى الماء والهواء.. والأطباء ينصحون بينهم وبينك وبصوت هامس ألا تشرب من ماء النيل إلا إذا غليت الماء.. حتى الماء الذى يبيعونه فى الزجاجات يجب غليه أيضا.. لأن المواد السامة تتسرب إلى المياه تحت الأرض.. أما الذى يحدث للبشرة وللأنف وللشعر من إلتهابات جلدية فالسبب الوحيد هو الأوزون:.. وهو الغاز الذى يلتف حول الأرض.. ويحميها من أشعة الموت التى تنهال عليها من الشمس..

هذا الأوزون قد تمزق.. فتسللت إلينا أشعة الموت بمنتهى العنف.. ولذلك ظهرت أشكال وألوان من السرطان على الحيوانات

والنبات فى أستراليا وما حولها من الجزر.. وإنقاذ أنفسنا من هذه الكارثة لن يتم إلا بعد مائة سنة -هذا إذا توقفنا عن إستخدام الغازات التى مزقت غلاف الأوزون!!

نحن الذين ابتدعنا الخوف لأنفسنا: حتى هذا الخوف هو المسئول عن كل أمراض الحساسية والكولسترول والأوزون!!

من أصـــابعك لأنفـــك

إبتداء من السيجارة وإنتهاء بمداخن المصانع وشكمانات السيارات يجب أن نلفت نظر جميع المواطنين إلى خطورة هذه السموم على الصحة العامة وعلى الكرة الأرضية كلها.. على صحتنا نحن، وعلى صحة كل الناس.. فالذى يدخن سيجارة هو المصاب رقم واحد، والذى يجلس إلى جواره هو رقم ٢. ولذلك يجب أن ينفرد المدخنون بسجائرهم ودخانهم وسمومهم بعيدا -فليكن الشر بعيدا عن الأنف والرئتين!!

وفى كثير من دول العالم يعزلون المدخنين بعيدا حتى لا تنتقل سمومهم إلي الآخرين.. وكثير من الدول حرمت التدخين فى أى مكان عام: المصاعد والسيارات والمطاعم والمسارح والندوات والمؤتمرات.. وفى دول أوروبية كثيرة تدفع الدولة مكافأة لمن

يستخدم السولار بدلا من البنزين لأنه أقل ضررا -أما المكافأة فهي تخفيض الضريبة لمن يستخدم سيارة السولار..

فالوقاية من السموم فزع عام وضرورة حياة. وجماعات الخضر وأحزاب الخضر فى العالم لها هدف واحد: هو الوقوف ضد كل المحاولات المعمارية والعسكرية التى تفتح الشوارع والمطارات وسط الحقول والغابات.. أى بالقضاء على الأرض المزروعة.. والقضاء على الطيور والحيوانات وذلك بتكثيف السموم الكيماوية فى الهواء والماء والأرض والنباتات والثمار ولحوم الحيوانات وألبانها..

وجماعات الخضر التى تلاحق السفن النووية التى تعترض على التفجيرات تحت الماء وفى الهواء، وتعترض على نسف جبال الجليد خوفا من إرتفاع منسوب مياه المحيطات فتغرق ألوف الجزر ووديان الأنهار: مثل مصر وبنجلادش..

هذه الجماعات هى محطات إنذار مبكر، من أجل الإنسانية.. وهى جادة. لأن الخطر حقيقى والموت مؤكد. وهذا هو الذى دفع الدول الصناعية إلى أن تتفق على تصفية مداخن المصانع حتى لا

تسقط السحب الحامضية على المزارع والغابات والبحار فتقتل الأشجار والأسماك..

والخطر يحيق بنا جميعا، ويتسرب من بين أصابعنا إلى أنوفنا إلى السماء!!

الزينــة بالقــوة

انتشرت نباتات الزينة فى البيوت، إنها تجارة رابحة، وفى السوبر ماركت تتكوم أصص النباتات والزهور، وهى غالية الثمن، بين مائة وخمسمائة للشجرة الواحدة. أما الآنية الفخار أو البلاستيك أو النحاس. أنت حر، تستطيع أن تجعلها من الذهب لو أردت، فهل هو للزهور والحياة والتذوق الفنى؟؟ يجوز.

لولا أننى ألاحظ أنها تقليعة. لا يستطيعها إلا القادرون، وليست دليلا على حب النباتات ومتابعة دوراتها والحرص على ذلك وتركها للأطفال يرعونها.. تعميقا لمعنى الحياة والجمال عندهم. فلو كان حب الحياة الخضراء هو الذى يشغلنا لملأنا النوافذ، مهما كانت ضيقة، والبلكونات مهما كانت صغيرة، ومداخل البيوت، والأسطح بالأشجار الجميلة والشجيرات النافعة، فبعض الناس اتجه إلى زراعة ما يفيدهم فى أحواض، كزراعة الطماطم والخيار

والنعناع والبقدونس -لا يهم كم عدد الشجيرات ولا كم المساحة المزروعة. المهم أنها تضيف لونا أخضر إلى الألوان الكالحة فى بيوتنا. فهم بذلك يزرعون النافع الجميل أيضا.. تماما كالذين يربون الدجاج والحمام فوق الأسطح.. إنها حياة وهى طعام أيضا..

وأنا أتمنى أن تزرع الأشجار أمام البيوت كل البيوت، وعلى جانبى الطريق: لون وظل ونظافة وتأكيد لمعنى الخير والعمل الإيجابى..

وأن نفرض على كل صاحب بيت أن يترك مساحة لزراعة الأشجار.. وأن ننشر الوعى والثقافة البستانية..

ولكن أهم من كل ذلك أن نبدأ أبعد وأعمق: بالطفل فى المدرسة والبيت.. أى بالمستقبل. وأن نساعده ونشجعه ونتابعه ونير له طريق الأرض لكى يزرعها والنوافذ لكى يزينها، هذه هى البداية.. أما ما عدا ذلك من التقاليع العابرة أو الموضات الخاطفة. فهى لاتهم كثيرا.. وهى إلى زوال. أما الباقى فهو الذى نغرسه فى أعماق الطفل، وحتى إذا ماتت الأشجار فى يديه وفى عينيه، فسوف

يبدأ من جديد.. و يزرع من جديد.. ويحب الحيـاة: حياتـه وغـيره من النبات والحيوان والناس!!

لبـن الأم : رحمـــة ..

رئيس وزراء فرنسا الأسبق منديس فرانس تزعم حملة فـى بـلاده طلب فيها إلى الشعب الفرنسى: ألا يكف عن شرب اللبن ، أو حيه هـو لذلـك ، ولكـن لأن الشعب قـد أغـرق نفسـه فـى الخمــور ، وجـاءت الخمـور فـأحرقت جـدران المعـدة والمصــارين وأذابـت وأطاحت بالمرارة وخربت الجيوب ألقت بالناس فى الطرقات تحت السيارات ، أنه أراد أن ينقذ شعبه من المرض والدمـار والنقـص فـى الإنتاج والنقص فى عدد السكان!

وذهبت دعواه سدى - أى أنه قـال وقـال حتـى تبـددت نداءاتـه وتحولت إلى أصداء لم يعد أحد يذكرها .. رغـم أن اللبـن موجـود على كل مائدة كل صباح .

ولإرتباط اللبــن بالطفولـة وتخويـف الأم وضغـط الأطبـاء ، فـان كثيرين من الناس يكرهون اللبن إذا كبروا .. بل أننى أعرف عائلات

كاملة لا تشرب اللبن ولا تذوق مشتقاته من الجبن أو الزبادى أو الأرز باللبن أو القشدة .والسبب هو أنهم عندما كانوا أطفالا أرغمتهم أمهاتهم على تناوله بالقوة.

والذين يشربون الخمر لا يخففون وقعها على المعدة وجدرانها بتناول اللبن عندما يذهبون إلى الفراش أو عندما ينهضون من النوم. وإنما هم فى فرنسا يتناولون شوربة البصل. فهى وحدها العلاج الشافى لما تبقى فى المعدة من عصارات حمضية كاوية . ولا يشربون اللبن!

وفى السنوات الأخيرة ظهرت نظرية تقول: إن إنحراف الشبان وأمراضهم الجسدية سببها أنهم لم يشربوا لبن الأم بدرجة كافية . فلبن الأم يعطى الطفل مناعة ضد الكثير من أمراض الحساسية .. ثم إن الرضاعة نفسها تعطى للطفل إلى جانب اللبن الكثير من فيتامينات لا توجد فى الصيدليات: الحنان .. فكل الأطفال الذين حرموا من لبن الأم ، ضعاف جسديا ، والذين حرموا من حنان الأم منحرفون نفسيا.

أما لماذا لا ترضع الأمهات أطفالهن ، فسبب ذلك: أن الأم أصبحت عاملة .. وليس لديها وقت .. أو أن الأم تريد أن تحتفظ بنهديها مستديرين مشدودين لتبدو صغيرة كأنها لا حملت ولا ولدت ولا أرضعت . أى أنها تحرم أطفالها من أعز شئ فى طفولتهم من أجل أن تبدو رشيقة فى فستانها ، ومن أجل أن يبرز نهداها ويضيق خصرها .. ولنفس السبب تحرص بعض الأمهات على أن تكون الولادة قيصرية.

وقد تجددت الدعوة لشرب اللبن فى كل سن .. لا لأن الطفل رجل صغير ، وأن الرجل طفل كبير .. ولكن من أجل صحة الجسم وسلامة النفس وزيادة الإنتاج فى أى مجتمع !

ربنــــا الشافـــى

هذه الأمراض الجديدة التى تطلع علينا كل يوم من تحت خلية من خلايا الجسم ، لم تكن موجودة من قبل .. أو كانت موجودة ولكن لم تكن هناك أجهزة للتعرف عليها وتصويرها ومقاومتها وشفائها .. أو اليأس من ذلك .. فالبيئة التى نعيش فيها أصبحت تساعد على كل الأمراض.. فهل يوجد شئ واحد نلمسه أو نأكله أو نشربه ليس مسموما .. لا شئ على الإطلاق .. لا الهواء ولا الماء ولا الخضراوات ولا الفاكهة ولا اللحوم - خصوصا اللحوم. كلها منقوعة فى السموم الكيماوية ولذلك تكاثرت الجراثيم والميكروبات والفيروسات والطفيليات على وظائف الجسم الإنسانى ، فكان لابد أن تتداعى قلاع المقاومة واحدة بعد أخرى ..

وعاد الأطباء يستخدمون كلمة قديمة .. هذه الكلمة كانوا قد حملوها كل مصائب الجسم الإنسانى . وهى كلمة (الحساسية) .. أنت عندك حساسية .. وأنا عندى .. حساسية ضد التراب .. ضد الزهور .. ضد شعر القطط والكلاب وريش الحمام .. وضد العته والصوف .. وضد العطور ..

وهذه الحساسية تلهب الأنف والشفتين واللسان .. أو تخنق الإنسان فلا يقدر على التنفس وخاصة المصابون بالربو .. وترفع درجة الحرارة ويصاب الإنسان بالحمى .. أو يصاب بالأكزيما - وهى كلمة يونانية بمعنى الغليان - أى التهاب البشرة وما بين الأصابع .. والسبب هو الحساسية التى ينشطها اللبن والسمك والتراب .. أو لمس الزهور والورد .. أو رذاذ أمواج البحر .. أو يلتهب جسمك لمجرد انفعالك لرؤية إنسان أو لمناقشة موضوع سياسى أو اقتصادى ..

ولا تفسير عاطفى لأن تصافح أنسانا فإذا بك تهرش .. ولكن التفسير هو الكولونيا التى وضعها فى يديه .. أو رائحة البوتاس الذى غسل به قميصه .. والعلاج ؟ هذه الكلمة هى أسهل من كل الذى

قرأت .. وأصعب من كل الذى تخيلت .. فلكثرة السموم فى كل شئ ، أصبح من الصعب على أى طبيب أن يقول لك : شفاؤك عندى .

وإنما العلاج الذى هو طريق للشفاء هو أن تنظر فى طعامك وشرابك وملابسك ، لتعرف ما الذى يلهب جلدك ويسد نفسك - أنت وليس الطبيب .

وهذا ما يقوله لك الأطباء .. يعنى تذهب للطبيب تسأله ما رأيك؟ فيقول : وما رأيك أنت؟!

وربنا الشافى ..

الراحـــة : إرادة

كادت متعتى أن تفسـد فـى الدقـائق الأولـى مـن جلوسـى علـى شاطئ المنتزه مع عدد من الأصدقاء لولا أن تداركت هـذه الفرصـة النادرة أن تضيع فقد وقفت هـذه الفرصة مثل فراشـة جميلـة علـى رمش عينى .. أو مثل زهرة سـقطت علـى شـعرى .. أى أنهـا شـئ صغير جميل هش إذا لمسته فانه ينكسر أو يهرب!

الهواء نقى .. بوفرة وكثرة فـالأمواج العاليـة مثـل مـراوح تدفـع الأوكسجين إلى صدورنـا .. والهـواء شـامل .. لا شـئ يعلـو علـى صوت البحر. والبحر لا يقول شيئا . وإنما هو يكرر ظاهرة جغرافية .. ويـردد عظمـة اللـه .. النـاس يتسـابقون إلـى الهـواء والمـاء ويستدرجون أشعة الشمس إلى أكبر مساحة من أجسادهم ثـم إنهـم لا يفعلون أى شئ ..

وأنا أرى وأحاول أن أروض صدرى علـى الهـواء ، وأذنـى علـى الهدوء ، وأصابعى على أن تكون ساقا بعد ساق أمـامى .. وأرتمـى كأننى موجة ماتت على بحر من الرمل .. أو كأننى حوت جنح إلى الشاطئ بعد رحلـة مرهقـة فـى ظلمات البحـار والمكـاتب وفجـأة انتفضت كأن فى داخلى عفريتا . قلت : ما الـذى نفعلـه نحـن فـى القاهرة .. أو حتى هنا فى الإسكندرية لا شئ غير أننا عاجزون عـن الراحة فنحن نعمل.. ونعمل ولا نعرف كيـف نتوقـف. ولـو توقفنـا لكان فى داخلنا صوت يشبه صوت الثلاجة أو صـوت عـداد النـور: يزن ويطن ويرتجف. والحل؟

لم نفكر فى أى حل. وإنما نحن هكذا مكتـوب علينـا الشـقاء و "هؤلاء" وتوقفت عن إكمال هذه الجملة فأنا أكره أن أقول : نحــن وهـم .. أى نحن وهؤلاء .. فان هــذا التقسيم شـرير .. أو أن هـذا التقسيم حقد ولست حاقدا على أحد.وكل ما هناك أنهم أناس مثلى ومثلك قادرون على أن يستريحوا كانوا يعملون. والآن جـاء موعـد راحتهم .. وليست للراحة طقوس وليس لها مكان .. فأنت تستريح فى البلكونة وفـوق السـطوح وتحـت الشـجرة وتحـت مظلـة وفـى

المنتزه وفى ظل الساقية .. أنها ليست مشكلة المكان وإنما مشكلة "إرادة" الراحة ..تماما كإرادة العلم . يجب أن "تريد" لكى تحقق شيئا ..

أما كيف تريد فمسألة سهلة جدا أغمض عينك وأفتح صدرك وذراعيك وأترك الباقى للهواء والماء والشمس وفورا يتحول كل شئ حولك إلى زهرات وفراشات تروح وتجئ كأنك شجرة يانعة .. أو كأنك حديقة ..أو كأنك جنه – فلا تطرد نفسك من هذه الجنة .. وكم اتسعت أرض ضيقة ، وكم ضاقت أرض واسعة والسبب أنت !!

العمـــل والأمـــل ..

من الممكـن أن تكـون هـذه العبـارة صحيحة إذا زاد محصـول الشاى فى الهند ، نقص محصول القطن فـى مصـر .. أو إذا جفـت الأرض فى تركيا ، مـات محصـول الكرنـب فـى مصـر .. وتفسـير العبارة الأولى أن زيادة الشاى الهندى ووفرته فـى مصـر تـؤدى إلـى انخفاض سعره وإقبال الفلاحين عليه .. والفلاح المصرى من أكـثر الناس استهلاكا للشاى بعد الفلاح الليبى . والشاى الثقيل يؤدى إلى انسداد النفس، ويؤدى إلى إرهاق الكبد والكبد المرهق يصد النفس عن الطعام ، ويصيب الإنسان بالكسـل . ولذلـك فأصحـاب الكبـد الكسول يأكلون الشطة التى تفتـح الشـهية . ومـادام الفـلاح هكـذا كسولا، فانه لا يعمل إلا ساعات قليلـة. ولمـا كـان الفلاحـون فـى مصر قد نقص عددهـم ، مما أدى إلى نقص الإنتاج ، فـإن سـاعات عملهم القليلة تنحط بالإنتـاج ، فـلا يجمـع الفـلاح القطـن إلا مـرة

واحدة .. وبذلك يضيع علينا مليون قنطار قطن سنويا - مثلا ..
وإذا تناقصت أمطار تركيا ، فإن شجيرات الحشيش هى الأخرى
تجف. ويتناقص الحشيش والأفيون المهرب إلى مصر . ولما كان
الفلاح مستهلكا للحشيش ،فإن نقصان الحشيش مع وفرة الشاى
تؤدى إلى ارتباك مزاج الفلاح المصرى .. فمرة لا نجد من يجمع
القطن ، وفى المرة الثانية نجد أن تكاليف جمع الكرنب أعلى من
ثمن بيع الكرنب . ولذلك سوف نتركه فى الأرض - كثيرون فعلوا
ذلك والمعنى : أن أسباب الوفرة والندرة متشابكة هنا وهناك ..
ومعنى آخر : أننا فى مصر نلقى اللوم على كل واحد وكل شئ. إلا
أنفسنا! وإذا كان الرئيس حسنى مبارك يدعو إلى زيادة الإنتاج،
فليس أمامنا ووراءنا من علاج إلا العمل .

والعامل المصرى أقل عمال الدنيا عملا -لا أحد يقول ذلك فى
مصر ، لإننا فى مصر نتفنن فى الكذب .. وإخفاء هذه الحقيقة
المؤلمة من أبشع جرائمنا !

فقـــط لا نـأكـــل !

مـا الـذى يجعـل إنسـانا مفتـوح الشـهية يـأكل ويشـرب كأنـــه سيموت غـدا ، ومـا الـذى يجعـل واحـدا آخـر يزهـد فـى الطعـام والشراب كأنه يعيش أبدا ..

ثم كيف يمكن التحكم فى ذلـك ؟ اختلـف العلمـاء فـى تفسير الجوع والشبع ، وانسداد النفس بصـورة عصبيـة مثـل الأمـيرة ديانـا وانفتاحها مثل الأديب الفرنسى بلزاك؟

أسـهل تفسـير هـو أن نقـول إنهـا كيميـاء . أى تعـادل وتـوازن واختلال التفاعلات الكيماويـة فـى داخـل الجسـم . وقيـام الجهـاز العصبى بمحاولات مستمرة لضبط وربط هذه النسب بيـن السـوائل والمعادن والتفـاعلات الكيماوية والكهربائيـة . وإذا لـم يكـن هـذا الرأى واضحا فإنه هو التفسير الوحيد المتاح الآن ، ولذلك فالأطباء عندما يحاولون أن يوقفوا شهية أحد فأنهم ينصحون بتعـاطى بعـض

العقاقير التى تساعد كيمائيا على سد منافذ الشهية ، فالأنف يزهد والفم والعين والجسم كله . وقد يصاحب ذلك نوع من القرف والإحباط . وهذا ما يشعر به عادة الذين يتعاطون حبوب التخسيس - أى انسداد النفس عن الطعام والشراب والنوم والقراءة والكتابة والحب ..

وقد لاحظ العلماء الأمريكان أن الهنود الحمر كانوا فى غاية الرشاقة وكذلك بعض القبائل المنعزلة فى غابات الأمازون . أى أنهم ، رغم الجوع والعطش والأوبئة وسوء التغذية ، فإن حياتهم استمرت . ولكن عندما انتقلت إليهم الحضارة والسوبر ماركت امتلأت أجسادهم وترهلت أصيب أطفالهم بالسكر!

والحيوانات أقدر وأحكم فهى لا تأكل إلا إذا جاعت .. وهى لا تأكل أكثر مما تحتاج المعدة - فالإنسان فقط هو الذى يقوم بتسمين العجول والطيور . أى إفساد الحكمة الغريزية فى جسمها. من أجل أن يزداد حجمها وشحمها قبل ذبحها !

وهذا هو مرض الحضارة الأمريكية الذى أصاب الملايين من الرجال والنساء الذين يحرصون على الرشاقة بأى ثمن . أما الثمن فهو فادح: السرطان!

وقد أعطيت بعض الحيوانات والطيور "حبوب التخسيس" فكانت شرسة وعصبية .. وبعضها مات بالانهيار .. والجوع ..

أحدث الوسائل الأمريكية التى تفسد كل شئ هى أن يكف الإنسان عن تناول الطعام نهائيا ويكتفى بالفيتامينات وبكثير من السوائل فيكون رشيقا تماما ، ولكنه يعطل عشرات الوظائف فى جسمه !

نضعف الإصغــــاء (١)

لو كانت اللافتات الموضوعة فى الشوارع والتى تقول "ممنوع استخدام أجهزة التنبيه" تنقل إلى كل بيت وكل شقة ، لكان الهدوء هو أعظم وأروع معالم الحياة المصرية. ولكن لأن نصف الشعب من الذين لا يقرءون .. ونصف الذين لا يقرءون هم أصحاب السيارات ، فهم لا يعرفون معنى اللافتات .. ولذلك كانت هذه الضوضاء فى القاهرة !!

أو هذا التلوث الصوتى ! ولو كان للصوت لون يمكن رؤيته . لكان فى كثافة الهباب والتراب الذباب فى بولاق الدكرور بالجيزة - أما الأثر السيئ لهذه الضوضاء فمؤكد . لأنه الذى يؤدى إلى الصداع ووجع الأسنان وتسويسها . وهو الذى يجعل يدك ترتعش وأنت تشرب القهوة التى تنبهك أكثر وأكثر . فالضوضاء تهز الجهاز العصبى .. كما تهز الموتورات ألواح الزجاج فى غرفتك ..

وهى لا تهزها فقط ، وإنما تشعل فيها النار. ولذلك يسرف الناس فى تعاطى المهدئات والمنومات والمخدرات ..

والضوضاء تصيب الإنسان بالقلق والأرق . وتهد حيله فتصيبه بالشعور بالفشل الإكتئاب وتجعله يتعلم الدرس الأول فى الهزيمة اليومية ، ليكون بعد ذلك مهزوما فى كل موقع .فأنت عندما تفتح النافذة وتهب عليك الأصوات من كل مكان تشعر بأنك لا تستطيع أن تمنعها عن نفسك . وإذا قفلت النافذة تسللت إليك . فلا حيلة لك أمامها . ولا قدرة لك على دفعها . وهذا هو أول شعور بالهزيمة .. وتجئ من بعدها هزائم أخرى .. هزيمة التراب .. وهزيمة الذباب .. وهزيمة الحفر فى الشوارع .. والقذارة عموما .. إلى ما لا نهاية من الهزائم الصغيرة التى تعمق لديك الشعور بالحزن وبأنك إنسان مقهور مغلوب على أمرك .. وعلى عينك وعلى أذنك وعلى أنفك .. وأنك خلقت هكذا ، لتبقى كذلك . ثم تجد نفسك مطالبا بالانتصار فى كل خطوة تخطوها!

ولما ذهب الطبيب العالمى د. روزن إلى السودان ووجد الهدوء التام عرف لماذا الإنسان هناك سليم العينين والأذنين والأعصاب والضغط ..

ولابد أن نعمل شيئا لمواجهة متاعب البيئة الصوتية ومتاعب الأنف والعين أيضا - الآن . فالضوضاء غدا أوقع وأوجع !

نضعف الإصغـــاء (٢)

هناك عبارة للفيلسوف الألماني شوبنهور تقول "أنت تحب الهدوء أنت إنسان متحضر !"

وكما أن هناك حرية الكلام ، هناك أيضا حرية الصمت !

ولكنه لم يدرك ما الذى فعلته الحضارات الآن .. المصانع .. والطائرات والكاسيتات والورش فى الأحياء السكنية .. والحفلات الصاخبة والميكروفونات فى كل مكان وبمناسبة وغير مناسبة – عندنا نحن مثلا ..

وفى ألمانيا جمعية "الصليب الأخضر" تحاول منذ سنوات تنبيه الشعب الألمانى إلى أثر الضوضاء على الأذن وعلى المخ وعلى الأعصاب. ولذلك تطل على المدن الألمانية وفى سمائها أذنان

كبيرتان تلفت عيون وآذان الناس إلى خطورة التلوث الصوتى .. وإلى أن عشرة ملايين ألمانى يعانون من ثقل السمع نهائيا .

ولذلك يجب أن تقوم الشركات والمصانع بالكشف الدورى على آذان العمال وقدرة السمع عندهم . ثم وقاية الأذن الإنسانية من الضوضاء . أما الأطفال الصغار الذين اضطرب السمع عندهم فيمكن علاجهم بسرعة وبذلك ينمو الذكاء وقدرتهم اللغوية على النطق أيضا .

ومن المؤكد علميا الآن أن الكاسيتات والموسيقى الصاخبة والراديو الذى يضعه الشاب على أذنيه ذهابا وإيابا ، هى جميعا مصدر ضعف السمع والصمم بعد ذلك . وليست حفلات الديسكو إلا المناسبة العظمى لفقدان السمع بعد وقت قصير - الأرقام تؤكد ذلك !

ومما اكتشفه العلماء الألمان أيضا أن تسوس الأسنان والسكر والضغط والقرحة كلها تتولد بسبب الضوضاء أو الشوشرة الموسيقية التى تحدثها الكاسيتات غير الدقيقة أو التسجيلات غير النقية - هذه حقيقة !

ومن خمسين عاما ذهب طبيب الأذن العالمى هيرتس روزن إلى السودان وتنزانيا ، فاكتشف أن عددا قليلا جدا قد تسوست أسنانهم أو أصيبوا بالسكر أو بإرتفاع ضغط الدم. أما السبب فهو إنعدام الضوضاء التى تحرق الاعصاب ، وتشقق الأسنان ، ثم تقصف العمر بعد ذلك !

إنها الحكومة الخفية

في الدنيا حولنا ينفذون حكم الإعدام في تاجر المخدرات لأنه قاتل مع سبق الإصرار والترصد .

ينفذون حكم الإعدام فورا في المغتصب لأنه مجرم هتك عرضا وقتل روحا وداس دينا . ينفذون حكم الإعدام في الذى اعتدى على ابنه وابنته وكل محارمه . الإعدام فورا . ولا نقرأ في أية صحيفة في الدنيا أن القانون سفاح أيضا . ولكن القانون يحمى الناس من الناس . فماذا لو لم يكن القانون سيفا قاطعا ، فالفوضى والتراخى واللامبالاة وضياع القيم والأخلاقيات وإنهيار الدين والناس .. وكل كلام بعد ذلك عن الخير والحق والعدل والسلام كلام فارغ !

إن تجارة المخدرات هى أعظم مافيا في العالم ، إنها أقوى من الحكومات ومن جيوشها . انظر ما الذى يحدث في أمريكا اللاتينية: جيش ومخابرات وفلوس وطائرات وجواسيس في كل

مكان ووراء كل شجرة فى كل غابة ويشعلون النار فى الحقول التى ترصدها الأقمار الصناعية .. ويحرقونها ويدفنونها فى الأرض .. ثم يدفعون تعويضات باهظة لأصحاب الأرض وللحكومات .. فماذا كانت النتيجة بعد خسارة ألوف الملايين من الدولارات؟

نشرت الصحف الأمريكية أن سيل المخدرات بكل أشكالها تنساب إلى الولايات المتحدة بقوة متجددة . كيف ؟

المعنى : إن هناك حكومة خفية قوية هذه الحكومة لها عقول مدبرة . ولها علماء وأطباء ومحامون ومخترعون فى القارات الخمس . ولهم رجال قد اخترقوا كل أجهزة الأمن فى كل العواصم . ومنذ أيام نقل الأمريكان والإيطاليون والفرنسيون رجالا من غابات كولومبيا إلى أسبانيا لكى يدلوهم على أقرب مصانع الكوكايين بالقرب من العاصمة الأسبانية ، هل تتصور أنهم رجال لم يبرحوا أمريكا ، لم يروا أوربا . ولكنهم يعرفون مكان المصنع .. من هؤلاء الناس؟ ما سلطتهم؟ كيف عرفوا؟!

إنها الحكومة الخفية التى تعمل على تدمير العالم ، ولابد أن نسبقهم فنقضى عليهم .. وبلا رحمة . فلماذا تأخذنا الرحمة بهم

وهم يوقفون نمو مصر النامية؟ وهم يشوهون الأجنة قبل أن تولد ، والأطفال بعد أن صاروا شبابا !

عليك بالجــرجير

والله لا أعـرف كيـف يبـاع الجرجـير فـى مصـر هـل بـالعود أو بالشيلة أو بـالكيلو، ولا المؤلـف الألمـانى هيلمـوت ايبرمـال الـذى أصدر كتابا عن الأعشاب الصحيـة -ولـم يشـأ أن يقـول الأعشـاب الطبية.. رغـم أن الجرجير المصرى يدخلونه فى كثير من المركبـات الغذائية والتجميل والعلاج، وقد اعتمـد المؤلـف الألمـانى علـى مـا كتبـه العـالم المصـرى الكبير بلديـاتى بـول غليونجنـى عـن الطعـام والتغذية عند الفراعنة... ولكنه يضيف إلى العالم المصرى، بعض ما اهتدى إليه علماء الكيمياء الحديثة.. وخاصة فى تغذية رواد الفضـاء الأمريكان!!

يقول د. ايبرمال: أن الجرجير المصرى -إن وجـد- يعتـبر غـذاء كاملا.. كاملا.. ولو فرضنا أن أحدا عصر عليـه الليمـون أو القليـل

من السكر ووضعه فى رغيف فإنه يغنيه عن كل ما تحتوى عليه المائدة من الطعام -هذا إذا لم يكن فى نيته أن يضيف بعض الشحم واللحم الذى يجىء من النشويات: الخبز والأرز والبطاطس!!

ويقول أنه وجد فى إحدى المخطوطات القديمة فى مكتب الأسكوريال بمدريد مخطوطة لمؤلف فارسى عاش فى القرن التاسع الميلادى يتحدث عن فوائد الأعشاب الهندية.. وقد ذكر "الجرجير" وقال إنه عندما حار فى علاج الملك بكل ما أوتى من حيل نفسية وغذائية عرض عليه أن يأكل الجرجير ثلاثة أيام بأشكال مختلفة.. سليما ومهروسا ومطبوخا وعلى شكل مراهم.

ويقول الطبيب الفارسى: إن الملك قد تحسنت صحته، وذهبت البثور من وجهه.. ثم إن الطبيب طلب من الملك أن يعتصر الجرجير فى عينيه أيضا.. إلخ..

الطبيب الألمانى ينصحك إلى جانب الجرجير المصرى أن تسرف فى تعاطى الليمون المصرى أيضا وأن تضعه على كل شراب وطعام فإن لم تقض على كل السموم فعلى بعضها، ثم إنه مصدر للنشاط الحيوى والمسئول الأول عن لمعان عينيك وأسنانك

وأظافرك -هذا الطبيب كيميائى وله عشرون كتابا عن التغذية وأستاذ فى جامعات ألمانيا وأمريكا، والذين يستمعون إليه ويصدقونه بعشرات الملايين!!

بسبب التنـــويع

لا توجد طريقة مؤكدة لنقصان الوزن، هناك ألف طريقة ، ولكن الطريقة الوحيدة المؤكدة هى: أن تمتنع عن الطعام، ولما كان ذلك صعبا، فلا بد من أن تتناول طعاماً، وكأننا لا نأكل، فيكون الطعام بلا دسم ولا سكريات ولا نشويات.

وإذا لم نستطع أن نمتنع بإرادتنا، فإننا نبحث عن إرادة مزيفة - أى سنبحث عن قوة تجعلنا نتوقف عن الطعام، هذه الإرادة المزيفة هى بعض الحبوب. هذه الحبوب تسد النفس وتفتح العين حتى لا ننام، لأن النوم له دخل أيضا فى زيادة الوزن، وهذه الحبوب من الممكن أن تكون ضارة على القلب وعلى الأعصاب..

ولأن الذين يريدون أن ينقص وزنهم عصبيون/ فهم يتعجلون النتيجة. ولذلك يريدون أن ينقص وزنهم فى أسرع وقت، وهذا

ممكن جدا فى أى وقت، يكفى أن تبتلع قرصين فى الصباح من أقراص إدرار البول -سوف تنقص فى نفس اليوم كيلو جراما واثنين.. وفى أسبوع تنقص عشرين كيلو جراماً، ولكن على حساب أشياء فى جهازك الهضمى والدورة الدموية وتوازن السوائل فى جسمك..

ورغم كل هذه الأضرار، فإن أحدا لن يتوقف عن أن يكون رشيقا. والتليفزيون هو السبب: إنه يعرض علينا نجوم الرياضة والسينما والسياسة، وهم فى غاية الرشاقة..

أخر ما اهتدى إليه العلماء، بعد ما طبقوه على الكلاب والقطط والفئران والخيل والحمير أيضا، هو أن الذى يأكل طعاما واحدا..

سوف ينقص وزنه. وليكن هذا الطعام لحم الديك الرومى، فإن هذا اللحم لا يحتوى على كل إحتياجات الجسم.

ولاشىء يفتح الشهية إلا تنويع الأطعمة من حلو وحراق وساخن وبارد وفوار، وفى عملية سد النفس فإن الديك الرومى يعادل الفول المدمس والرغيف بلا ملح والتفاح الأمريكى والبصل الصعيدى -جرب!!

إرادة الشفـــاء

هناك ثورة بين علماء النفس والإجتماع تقرر حقيقتين. الأولى: أن المواد الكيماوية نتعاطاها على شكل عقاقير لتخفيف الألم، ضارة جدا بالصحة، تماما كالتدخين والمنبهات والمخدرات..

والثانية: أن فى داخل الجسم الإنسانى طاقة هائلة ولكننا اعتدنا ألا نستعين بها.. تماما كالذى لديه وديعة مالية كبيرة فى البنك، ثم أنه حريص على أن يقترض من نفس البنك، دون أن ينتبه إلى أن البنك سوف يستوفى حقه يوما ما..

من بين دعاة هذه النظرية القديمة المتجددة كاتب أمريكى أسمه "موفان كوزنس" له كتب سهلة تدعوك إلى إحترام نفسك ومعرفة قدرتك الهائلة التى لا تدرى بها، لأنك اعتدت على أن تستعجل الشفاء مستعينا بالعقاقير الكيماوية.. ويرى أن القوة الكامنة فى

داخلك، قادرة على أن تشفيك من أى مرض.. أى مرض، حتى السرطان، وله تجارب عديدة تؤكد ذلك..

فما هى هذه القوة؟ إنها إرادة الحياة.. إرادة الصحة.. إرادة النجاح.

الإرادة معناها: أن هناك قوة وأن هناك قرارا داخليا بإستخدامها. هذا هو القرار الحيوى. وهذا القرار لا يصدر بمجرد أنك تريده.. وإنما هو قرار يصدره العقل لوظائف الجسم، فيطلق طاقته المكنونة فى الدفاع عن الجسم ضد الأمراض، وفى مقاومة اليأس ومكافحة الإرهاب الداخلى.

فما من طبيب يطلب من الذى توجعه ساقه بأن ينام، بل يطلب إليه أن يدوس عليها ويتساقط ليقوم ويتكىء عليها.. فالقوة التى فى داخلك قادرة على أن تتحمل الألم، وإرادة الإستمرار هى وحدها التى سوف تشفى ساقك وعضلاتك وأعصابك أيضا..

الأرقام فى المستشفيات تؤكد أن إرادة الشفاء، هى نصف الشفاء.. وإرادة البقاء هى نصف الطريق إلى ذلك، ثم هى البقاء بأقل ألم وأقل يأس.

والمطلوب أن يكون هذا قرارك وقرار كل أحد نحو نفسه ونحو وطنه..

فإذا حدث كنا أمام إجماع شعبى على إنقاذ الوطن من كل مرض، مهما كان مستعصيا!!

الهندسة الوراثية

كل يوم يموت خمسون نوعا من النباتات والحيوانات.
والسبب هو إحتراق الغابات بما فيها من نباتات وحشرات وحيوانات أيضا..

والغابات تحترق قضاء وقدراً. أو أن الناس يقطعون أشجارها ليبيعوا أخشابها أو ليزرعوها.

أو أن الغابات تموت من شدة الجفاف.

فما العمل؟؟ الإجابة عن هذا السؤال عند عشرات الجمعيات المتخصصة فى حماية البيئة.. أى فى حماية النباتات والحيوانات والحشرات قبل أن تنقرض. ولذلك تسارع هذه المعاهد فى الحصول على الحيوانات المنوية والبويضات للحيوانات المهددة بالانقراض والاحتفاظ بها فى البنوك لتجميدها وتخصيبها وإكثارها

فى ظروف ملائمة، وفى العالم علمـاء كثيرون يقتحمـون الغابـات وحدائق الحيوان والحدائق المفتوحة ليحصلوا على ما يريـدون مـن الحيوانات الموجودة قبل أن تنقرض..

ومن الملاحـظ أن نقـص الحيوانـات شـديدة الخصوبـة -سـواء كانت تعيش فـى المنفـى أو فـى الحدائـق المغلقـة. مثـل نـوع مـن الغزلان والفئران والخنافس والفراشات وبعض الفيلة الإفريقية.. وقد استطاع عدد من العلماء أن يتحكموا فى حملها وولادتها بانتظـام. وذلك عـن طريـق (الهندسـة الوراثيـة) إمـا عـن طريـق التـأثير علـى مكوناتها أو توجيهها إلى ما يريدون!!

والعلمـاء لا ينتظـرون الحيوانـات حتـى تحمـل أو حتـى تلـد.. ولكنهم يعزفون فترة الاستعداد للحمل عن طريق تحليل البول والدم وإفراز المواد البيوكيميائية التى تدل على استعداد الأنثـى للخصوبـة وذلك بأن تطلق الكثير من بويضاتها!!

وفى الأسبوع الماضي انتحر أحد علمـاء الهندسـة الوراثيـة. لـم يقل شيئا. مات وسره معه. ولكن زملاءه يؤكدون أنه أثناء تجاربـه على القرود لاحظ أنه يستطيع أن يغير معالم القرد والإنسـان أيضـا.

وأنه خشى من ارتكاب هذه الجريمة، فقد ولد له طفل مشوه - رحمه الله فمات- وصورة هذا الطفل لا تغيب عن عينيه..

ولذلك قرر أن يموت حتى لا يكون سببا فى خلق أطفال مشوهين مثل ابنه..

وهى حالة خاصة لشعور عميق بالذنب.. ولكن الهندسة الوراثية قد أدت إلى مضاعفة وتنويع الحاصلات الزراعية والحيوانية..

فالهندسة الوراثية (خادم مطيع) ولم يصبح حتى الآن سيدا شريراً!!

مسموم يا نيـل (١) !

ماذا أصاب الحمير والأبقار والجواميس والأغنـام فـى أسـيوط. أصابها الكثير الذى يزعج البنى آدميـن الذيـن يعيشـون مـن أسـيوط حتـى البحـر الأبيض أرجـوك أن تقـرأ مـا جـاء فـى مجلـة أسـيوط للدراسات البيئية -عدد يناير ١٩٩٣ بقلم د. سيد العمروسـى وقـد بدأ الكاتب بحثه بمصادر تلوث مياه النيل فوجد أنها مـن المصـانع والصرف الصحى للمدن والقرى والأعشاب والطحـالب والصـرف الزراعى وسلوكيات الإنسـان والحيـوان -طبعـا تعـرف سـلوكيات الإنسان فى مـاء النيـل.. أمـا التلوث البصـرى وتشـويه النيـل فهـو بالنسبة لنا نوع من الترف لأننا لسنا مرهفى الحس لدرجة أن نجـد الأندية القائمة على النيل تفسد جمال النيل لأن أحـدا لا ينظـر إلـى النيل!!

فبعد السد العالى -وسوف يجىء زمن نحاكم غيابيا صاحب فكرة إنشاء السد العالى ونشنقه فى ميدان السادات - قد تغير نظام الماء وازداد التلوث وزادت الحموضة فى الماء.

ومن المؤكد -هذا رأى الباحث وعلماء آخرين. أن جميع مصانع السكر ولب الورق والفوسفات وتجفيف البصل فى سوهاج ومصنع الكوك وزيت الطعام والصابون وبعد ذلك تتكاثر المصانع حتى تصل إلى محافظة الجيزة ففيها وحدها أكبر قدر من التلوث فى مصر كلها برا وبحرا وجوا من مصانع الأسمنت والحديد والصلب وكلها تتعاون على إفساد الماء بالمواد الصلبة والعضوية والأملاح والمعادن..

شركات السكر وحدها تصب فى النيل ١٩٢ مليون متر مكعب..

فما الذى أصاب الحمير؟ لقد أصابها الهزال وليونة العظام وسهولة كسرها .. مع (تمعظم) الفخذ والساق وتآكلها وتعرضها للسقوط - بسبب إرتفاع التلوث فى الدم بنسبة ٥,٨٣ جزء فى المليون.

- أما النسبة المسموح بها فهى خمسة من عشرة فى المليون - مازلت أتكلم عن الحمير!!

وهذه النسبة أيضا -كما يقول د. العمروسى - تصيب الحمير فى الرئة والكلى والقلب والعظام. أما زيادة الرصاص فى الأنسجة فيؤدى إلى ضعف جهاز المناعة فى جميع الحيوانات -ربما يؤدى إلى الإيدز؟؟

أما باقى أبقار الفريزيان فارتفاع الفلورين فأثره على كريات الدم مخيف جدا -أما أثر هذه المادة على عباد الله أمثالنا، فأنت ترى ذلك فى مصارينك وقلبك وبصرك وبلادة التلاميذ وعدم قدرتهم على الإستيعاب!!

مسموم يا نيـل (٢) !

أكثر الناس عذابا هـم الذيـن يسكنون فـى القـاهرة: زحـام.. تـراب.. هبـاب.. أول أكسيد الكربـون ثـانى أكسيد الكربـون.. رصاص.. ضوضاء وأضعاف أضعاف هذه الأسماء موجودة فى ماء الشرب وفى الخضروات والفاكهة واللبن واللحوم.. ولا أحد يربط بيـن هـذه الأسـماء الكريهـة والمغـص والصـداع وضعـف النظـر والذاكرة والمسالك..

ونحن سكان القاهرة عصبيون –وهذا طبيعى. وفى حالـة كسـل وبلادة ونحـاول طـوال الوقـت أن نوقـظ أنفسـنا بـالقهوة والشـاى وبهذه المنبهات والسجائر وغيرها ..وإذا حاولنا النـوم، فلابـد مـن المهدئات وإذا حاولنا اليقظة فلا بد من المنبهات.. بالعافية نصحـو وبالعافية ننام.. وكل حياتنا (زق).

نـزق أنفسـنا.. نزاحـم النـاس.. نصطـدم بهـم فـى الطريـق فـى الأتوبيس أمام الجمعيات التعاونية والمدارس والمستشفيات ولا بـد أن يكون لون الحياة والعلاقات الإنسانية رماديا أو قاتما..

ولابد أن تكـون مشـاعرنا هـى الضيـق: ضيـق بالنـاس.. وضيـق الصدر. ضيقون بالناس وبأنفسـنا ولابـد أن تكـون أسـرع مشـاعرنا الغضب.. والغضب يدحرجنا إلى الكراهية.. والكراهية إلـى الحقـد والحقد.. هو الأب الشرعى لكـل أنـواع العنـف.. العنـف الفـردى والعنف الجماعى.. ونحن الآن على مسافة قصيرة جدا من الإنحناء على الأرض والبحث عن طوبة لكى ألقيها عليك أو علـى أى أحـد لا أعرفه.. طوبة أو سكين أو قنبلة.. وليس السبب الوحيد هو أنـك من دين وأنا من دين.. ولا أنك غنى وأنـا فقـير.. ولا أنـك تشـغل مقعدا فى شركة أو فى الأتوبيس.. وإنما لكل هـذه الأسـباب ولأن أحـدا لا يكلمنـى ولا يسـألنى ولا يحـاورنى .. ولأننـى ولأنـك ولأننا..

والحل؟ الحل المؤقت هو أن نهرب من القاهرة إلـى أى مكـان آخر. اجلس إلى أى ترعة تحت أى شـجرة مـع أى أحـد.. أهـرب

إلى الشاطئ يوما.. اثنين.. ثلاثة.. المهم أن تنسحب من القاهرة.. من هذه المدينة المجنونة العجوز الدميمة.. ولا تصدق ما يقوله السائح الأجنبى عن القاهرة.. إنه يراها لأول مرة ولأنها مختلفة عن بلاده ولأنه يريد أن يشعر بأنه لم يضيع فلوسه.. ولكن إذا طالت إقامته طال لسانه.. وصار مثلنا يرى النجاة فى البعد عنها!!

مسموم يا نيــل (٣) !

يجب أن ننبه بكل وسائل الإعلام إلى خطورة "عـروس المولـد" على صحة الأطفال وكيف أنها تؤثر على تركيب الخلايا -وتسبب السرطان. هذه حقيقة علمية. ليست فيها أية مبالغة، أما السبب فهو أن المواد التى تستخدم فى تلوين عـروس المولـد كيماويـة، وهـذه المواد لا توضع بالنسب التى حددها القانون لسـنة ١٩٤٦، وهنـاك نوعان من مواد التلوين: مواد نباتية مستخرجة مـن العنـب والبنجـر مثلا ولكن هذه المواد النباتية الأصل ليست ضارة وإن كانت غاليـة التكاليف، وهناك مواد كيماوية تستخلص منها الألوان. والإسـراف فى تلوين عروس المولد هو القاتل، بـل هـو الـذى يسـبب المـرض أولا، ثم الموت البطىء بعد ذلك..

ولو خطف أى واحد منا رجله وذهب إلى مصانع الطشوت النحاسية المجنزرة لعرف أن هناك سببا آخر لموت الأطفال غير المواد الكيماوية: صدأ النحاس والتراب والهباب والذباب!!

وكل أنواع الشيكولاته فى مصر: يستحيل أن يكون لونها البنى بسبب الكاكاو -وإنما هى ألوان كيماوية أيضا، وهى لا تقل فى خطورتها عن اللون "اللعلهى" فى عروس المولد.

وقد تنبهت دول أوروبية كثيرة كما أشرت فى هذا المكان من قبل وأرسلت ما نشرته الصحف البريطانية للدكتور راغب دويدار وزير الصحة، ونبهت الصحف الفرنسية أيضا إلى خطورة الألوان الكيماوية وأثرها على أعصاب الأطفال وأنها سبب فى هياجهم وفى العنف وأنها تسبب الإدمان أيضا ؟!

لقد قامت وزارة الصحة أخيرا بمهاجمة أكثر من مائتى مصنع وضبطت المخالفات فى الصناعة وفى التلوين وفى قواعد النظافة. ولكن لا يزال الأمر خطير جدا على صحة الطفل.. إن منظمة الصحة العالمية قد اكتشفت أن الألبان الجافة، رغم نظافتها ودقة صناعتها قد سببت سرطان الأطفال فى العالم الثالث فحرمتها ..

وألزمت شركات الألبان الكبرى ببناء المستشفيات فى العالم الثالث تكفيرا عن خطاياها - أما خطايانا مع أطفالنا فيستحيل التكفير عنها إلا بوأد عروس المولد ودفنها فى فساتينها الورقية عند كل مولد..!!

مسموم يا نيل (٤) !

فى مذكرات أحد الأطباء المصريين من خمسين عاما أن عدد المرضى الذين يشكون من إرتفاع الضغط قد زاد..

فقد شكا له أكثر من عشرين شخصا فى عام واحد؟ ورأى أن إرتفاع الضغط من أمراض العصر.. وهو بالفعل كذلك بسبب التوترات العصبية وأمراض أخرى.

وقيل أنه السكر أيضا.. وقيل بل تسوس الأسنان.. ويقال أن الشعب اليابانى هو أكثر شعوب العالم تسوسا للأسنان.. وسبب ذلك سوء مضغ الطعام أو سوء العناية بالأسنان.. ولكن من المؤكد أن الشعب الإسرائيلى هو أكثر الشعوب العالم تسوسا للأسنان بسبب التوتر العصبى المستمر والقلق الدائم وعدم الشعور بالأمان. ثم إسرافه فى تعاطى الحلويات.

ولكن الإحصائيات اليابانية الأخيرة تؤكد عكس ذلك. فقد وجد اليابانيون حلا سعيدا لتسوس الأسنان. وذلك بإخفاء التسوس تحت طبقة من الخزف الرقيق المتين أيضا..

ثم استبدال الأسنان. فقد أخترع اليابانيون عجينة متينة تعيش بعد موت أصحابها. والمثل اليابانى يقول: أطول المؤسسات عمرا أسنان العواجيز (متوسط عمر الرجل ٧٦ عاما والمرأة ٨٢ عاما).

وفى مؤتمر دولى للأسنان عقد فى طوكيو فى الشهر الماضى. أعلن أحد العلماء اليابانيين أنه اكتشف أن تسوس الأسنان المبكر وراثى. وقدم أدلة على ذلك من ١٥٠٠ حالة لعدد من الفلاحين والصيادين يعيشون فى هدوء تام.. ودون توترات عصبية مع اعتدال فى تعاطى الحلويات وتنظيف يومى للأسنان فى طقوس تكاد تكون دينية..

ولاحظ أيضا أن المتزوج أسرع إلى التسوس من الأعزب.. وأن المرأة أسرع إلى التسوس من الرجل.. وأنه ليس صحيحا ما يشاع فى اليابان أن الحب يؤدى إلى تسوس الأسنان.

ويقل التسوس بين رجال الدين..

وفى نهاية بحوث د. أوتو-دوكياما قال إنه فى السبعين من عمره وأسنانه سليمة لأنه مثل والده تماما قد تزوج عن حب عميق لامرأة أنجبت له سبعة من الأولاد، ثم أنه لم يذق اللحم طوال حياته!!

مسموم يا نيل(٥) !

وضعنا على لسان الطبيب القديم جالينوس الكثير من الحكم والأمثال والنكت أيضا – مع أن الرجل لم يكن لديه وقت لكى يضحك، ولا مزاج لأن يداعب أحدا، فالذين يرونه يخيل إليهم أنه حامل كل أمراض الدنيا، وأنه عالج كل الناس، ونسى أن يعالج نفسه من "القرف"– من الناس الذين عالجهم، والذين لم يجد لهم علاجا، ثم إنه هو شخصيا كان يهز كتفيه إستخفافا بالطبيب والمريض والدواء. وكانت له عبارة: إذا كان الموت هو النهاية فلماذا الحرص على الصحة ما دام الموت هو الشافى المعافى من المرض والفقر والظلم؟!

صدقت يا أستاذ!!

ومن عباراته أنه لولا قصب السكر ما عاش المصريون!!

عود قصب سكر من الأكسجين وأشعة الشمس -هى فعلا مصدر حيوية الفلاح، مهما كان الطعام الذى يضعه أمامه ناقصا كل عناصر الحياة!!

وهذه صدقت فيها يا أستاذ. لولا أننا لم نعد نجد ذلك القصب الذى تحدثت عنه، فهو هزيل أسود اللون.. فقد ارتفعت إليه المياه الجوفية فقصفت عمره وهو لا يزال فى المهد صبيا!!

ولابد أن الفراعنة كانوا أبعد نظرا عندما حرموا أكل الفول - ورأوه طعاما محرما، وما أحوجنا إلى نصيحة واضحة عن أثر الفول المدمس والبيسارة والطعمية فى معدة المصريين وفى حالتهم المعنوية وفى رضائهم بالقليل!!

قال المؤرخ الفرنسى ديجا أن نابليون لم يستسغ قصب السكر وإنما كان يكتفى بالقليل ثم يحاول أن يعرف أثره، وينظر إلى أعلى وإلى أسفل ويتلفت حوله، فيجد كل شىء فى مكانه.. بدد ثبتت الأشياء والنسا، ولم يتغير لون ولا موقع ولا دار رأسه ولا اتسعت عيناه لابد أنه يحاول المقارنة بين عصير القصب وبين الشمبانيا والكونياك فى بلاده!!

كان الإمام الشافعى ينصح الذين عندهم أرق بأن يمصوا عودا من القصب -ولكن همومنا يا سيدى الإمام لا تجدى معها "معصرة" قصب فهى أعقد وأعمق -ثم أين هو القصب!!

مسموم يا نيـل (٦) !

كأنهم يحرصون على المرض وعلى الموت بعد ذلك، وإلا فما تفسير أن يستمر الناس فى التدخين رغم التحذيرات المستمرة بأن السجائر تسبب السرطان للمدخنين، والذين يشمون دخان الآخرين!!

واحد يقول لك: ليست لى لذة فى الدنيا إلا التدخين. وليس معقولا أن أعيش دون أن أجد لشيء فى الدنيا طعما، فالسجائر هى الطعم، وليست هى السبب الوحيد الذى يؤدى إلى الموت، فالناس يموتون فى جميع الأحوال..!

وواحد يقول لك: أن تشرشل كان يدخن السيجار، ليس السجائر وقد عاش تسعين عاما!!

وواحد يقول لك: أن هناك أطفال تولد ميتة، فما الذى شربه أو أكله هؤلاء الأطفال فى بطون أمهاتهم والأصحاء يموتون والمرضى يعيشون!!

وليكن هذا رأى المدخنين ولكن ما ذنبنا نحن الذين لا ندخن ونجد أنفسنا فى مهب عواصف المدخنين فى كل مكان عام وخاص..؟

الأطباء ينصحون المدخنين بأن يدخنوا بعيدا عن بقية المدخنين.. لأن الذى يدخن بين الآخرين يشم دخان سيجارته وسجائر الآخرين.

أما الذين لا يدخنون فيجب أن يعرفوا أن واحداً منهم يموت كل يوم فى بريطانيا بسبب السرطان.. رغم أن ثلث الشعب البريطانى لا يدخن، فهناك أكثر من خمسة آلاف طفل يعانون من صعوبة فى التنفس رغم أن أهاليهم لا يدخنون ولكن الضيوف يدخنون..!!

إن دخان السجائر فيه أكثر من أربعة آلاف مادة كيماوية.. وهى ضارة، وأكثرها ضررا هو أول أكسيد الكربون الذى يتنفسه

المدخن ليلا ونهارا، وجسم الإنسان فى حاجة إلى ست ساعات من الهواء النقى لكى يزيل أثر سيجارة واحدة فى دمه..!!

وقد أثبتت الدراسات التى أجراها العلماء الروس أن التدخين لعمال المناجم هو الذى يؤدى إلى تشوهات خلقية للأجنة.. وأنه حدث فى مناطق المناجم فى بريطانيا وألمانيا وروسيا أن ولدت الأمهات أطفالا مشوهين -وكان ذلك قبل انفجار مفاعل تشرنوبل وما تبعه من انتشار الأسلحة النووية..

وبعد تحليل الماء والهواء والتربة وكل الأطعمة التى يتناولها عمال المناجم، لم يجد العلماء إلا سببا واحدا قاتلا للآباء، ومشوها للمواليد هو: دخان السجائر!! والرأى لك فحياتك أو موتك ومرضك ومرض أولادك بين شفتيك!!

مسموم يا نيل (٧) !

ارفع صوتك يا أخى ، فنحن نصدقك.

قلتها لأحد العلماء الذى يدعو إلى تحريم السكر على الناس، لأن السكر سمٌ أبيض، وأن هذا رأى كثير من علماء الدنيا، ولأن المصريين يتعاطونه بكميات كبيرة، وأن معظم الناس يفضلون أن يكون الشاى عسلاً أسود..

أى بالضبط يكون له اللون والطعم الذى يفتت الكبد!!

من المؤكد أن السكر من قصب السكر ضار -ويمكنك أن تكرر كلمة ضار حتى نهاية هذه الصفحة ولا تكون مبالغا!!

ولذلك يجب أن نقول للناس كيف يمكن أن نتقى ضرر السكر، بتقليل الكميات، يجب أن تقول إلى أى حد.. ويجب أن تقول لهم إن كان البديل هو سكر البنجر أو السكارين.. أو عسل النحل؟؟

لابد أن نبحث عن بديل.. لأن القضاء على عادة راسخة عند كل الناس صعب جدا، فالذى يقول لإبن البلد لا تشرب شايا صباحا لأن الشاى ضار والسكر أيضا، يعلم مقدما أن أحدا لن يسمع له كلاماً، بل إن مثل هذا الكلام يقرف الناس "ويقريفهم" فيشربون مزيدا من الشاى ليعدلوا دماغهم الذى انعوج بعد سماع هذا الكلام المر!!

وفى نفس الوقت يجب أن نذكر الأطعمة التى تحتوى على السكر مثل اللبن والطماطم والجزر وغيرها -أى مصادر أخرى للسكر التي يحتاجها الجسم، وهى أنواع من السكر أسهل وأخف على الجسم من سكر القصب. ولكن يجب أن تقول للناس ماذا يفعلون بالتدريج..

ولم أسترح لمن سمعتهم فى التليفزيون يخيفون الناس بالسكر ومن السكر ومن الإصابة به، وضرر مرض السكر على العين والقلب وبقية الأعضاء والوظائف.. فليس أسهل من إرهاب الناس.. وليس أصعب من تهدئة خواطرهم، وأصعب من ذلك أن

تقول لصاحب الكيف: غـدا لا تشـرب.. غـدا وإلـى الأبـد. بعـض الناس قادرون على ذلك، وأكثر الناس لا يستطيعون..

إذن لابـد أن يقـول لنـا العلمـاء وأن يقنعونـا وأن يكونـوا علـى مستوى عقولنا: ماذا نفعل اليوم وبـالتدريج حتـى نـرى السـكر ولا نتذوقه!!

أنــف كليوباتــرا

المفكـر الفرنسـى العظيـم باسـكال هـو الـذى قـال: إن أنـف كليوباترا قد غير التاريخ!!

ولا أنفهـا ولا هـى كـانت جميلـة.. وإنمـا الشـعراء جعلوهـا كذلك.. وكان المعنى المقصود هو: أن كليوباترا هى التى غيرت التاريخ!!

أما الذى سيغير أنفه التاريخ فعلا هو الرئيس ريجان الذى أصيب فى أنفه بسرطان الجلد، وأجريت له عمليات ناجحـة، ولكـن بقـى الخطر على حياة كل الناس.. فأنف الرئيـس الأمريكـى قـد أصيـب بالسرطان بسبب الأشعة الفوق بنفسجية التـى تفيـض بهـا الشـمس علينا.

فقد اكتشف العلماء من عشر سنوات أن هناك ثقبا فـى الغـلاف الغـازى فـوق القطـب الجنوبى. هـذا الثقـب قـد صنعتـه الغـازات

المتصاعدة من المصانع، وظلت الغازات وما فيها من مواد كيماوية تعلو وتضغط حتى أكلت طبقة من الغلاف إسمها الأوزون -هذا الأوزون هو البطانة التى تحفظ الأرض من أشعة الشمس فوق البنفسجية القاتلة والتى تسبب سرطان الجلد..!!

ولابد أن تعاود الدول الصناعية مفاوضاتها التى توقفت لتتفق على وقف هذا الخطر الذى يتدفق علينا من السماء بسبب الأبخرة والغازات الكيماوية التى أسرفنا فى استخدامها وخاصة: كلوروفلورو كربون الذى نستخدمه فى الثلاجات وأجهزة التكييف وصناعة البلاستيك والمبيدات والمذيبات. هذا الغاز هو الذى يقوم بدور الأظافر والمخالب التى نحفر بها السقف الواقى لحياة الإنسان والحيوان والنبات.

وقد نصح العلماء الأمريكان بضرورة استخدام الشماسى ووضع الأقمشة المبللة على الوجه أثناء المشى فى الشمس وكذلك الكريمات.

وفى أمريكا دعوة الآن إلى تحريم المشى فى الظهيرة رغم المظلات والكريمات، والسبب هو أن هناك جلدا رقيقا لا يقوى

على تخمل أشعة الشمس.. وقد علقت بعض البلاجات الأمريكية هذه التحذيرات: طبقا لأحدث المعلومات الدقيقة: الإستحمام قبل الحادية عشر صباحا وبعد الرابعة مساءً....

وقد التفت العلماء فى السنوات الأخيرة إلى هذا الخطر الهابط علينا من فوق بسبب المعلومات التى نشرت عن الرئيس -هناك ملايين الأنوف أصيبت ولكن أحدا لم يشعر بها... إنه أنف ريجان الذى سوف يغير التاريخ!!

العظماء والإمساك (١)

أشهر الذين عاشوا وعندهم إمساك مزمن: الرئيسان جيفرسون وهاريسون والثائر روبيبير ونابليون وغاندى والزعيم تشرشل وعالم النفس فرويد والأديب هنرى جيمس والموسيقار جرشوين وأصحاب الملايين هيوز وأوناسيس وخاشفقجى والممثلة مارلين مونرو.. والأستاذ العقاد..

يقول د. جروترود ربنسون فى كتابها " الصداع النصفى وآلام أخرى" أن أكبر غلطة يقع فيها المصاب بإمساك مزمن أن يقاوم رغباته الجسمية: مثلا إذا أحس أنه يريد أن ينام، ليستسلم للنوم فى مكتبه أو جالسا فى الأتوبيس -دقيقة واحدة تكفى لإعادة النشاط له.

وتقول أن نابليون هو أحسن نموذج لذلك. كان ينام فوق حصانه فى قلب المعركة وكان يستند إلى الحائط وينام..

ولكن غلطة نابليون أنه كان يتردد فى الذهاب إلى دورة المياه. فهو يجد نفسه محاطا بالجنرالات، ويرى أن الإنسحاب من مناقشة العمليات الحربية لدورة المياه عمل لا يرقى إلى مستوى عظمته؟!

أما غاندى فلإنه كان يعيش على أنواع من النباتات ولا يشرب إلا القليل من السوائل -فهو قد عطل معظم وظائف الجهاز الهضمى!

وعالم النفس فرويد كان عصبيا وكان مريضا وكان ساخطا على الدنيا وعلى نفسه أكثر.. فهو الذى حاول أن يجد تشخيصا لكل مرض، وعلاجا لكل إحباط، ومع ذلك لم يفلح فى أن يجد علاجا للسرطان الذى تمكن من فمه، فأجريت له أكثر من عشرين عملية جراحية.. حرمت عليه معظم أنواع الطعام..

أما مارلين مونرو فكانت تنام بالمهدئات وتصحو بالمنبهات - فهى فى حالة وسط من اليقظة والنوم.. وهى لذلك عبارة عن "إنسان آلى" يحركه المخرجون والمنتجون مندوبو الإعلانات، كيف شاءوا.. وليس عندها وقت لتأكل، ولا لتهضم ما أكلت،

وعندها رغبة قوية دائما فى أن تنام، وتنام معظم وظائفها فى الهضم والدورة الدموية..

أما الأستاذ العقاد فهو عصبى وقليل الحركة.. ويجعل جسمه يتحرك وفقا لأفكاره هو.. فهو يضغط على المعدة لتهضم ما يريد لا ما يستطيع.

ولذلك فالعقاد الطبيب هو الذى قتل العقاد الأديب.

العظماء والإمساك (٢)

الفراعنة آمنوا بأن النباتات والفواكه تطيل العمر، واللحوم تقصف العمر ..

هذه الحكمة انتهى إليها الباحث الفرنسى كريستيان دى فرتفان من دراسة حديثة لمخلفات الملك توت عنخ آمون الذى اكتشفه كارتر وكارنرفون من ٦٩ عاماً.. والعالم الفرنسى قد قام بتحليل كيميائى دقيق لكل ما خلفه الملك توت عنخ آمون فى مقبرته فى مصر وفى المتحف المصرى وفى المتحف البريطانى أيضا، وقد استخدم هذا الباحث الكبير أحدث الأدوات العلمية مثل المجهر الأستريو..

وقد وجد فى مقبرة الملك توت ٩٠ نوعا من النباتات و٢٠ مادة غذائية و١٧ نوعا من البقول وثلاثة أنواع من البذور التى سوف يبذرونها للملك توت عندما يعود إلى الحياة.. وبعض هذه

المواد مصرية وبعضها مستورد من لبنان والسودان وشواطىء البحر الأحمر.. أما الذين سوف يتولون زراعة هذه البذور فهم عدد من العمال والفلاحين كانت له تماثيل صغيرة سوف تحل فيها الروح وبسرعة ينهضون لخدمة الملك.. كما عثر العالم الكبير على مواد تنشط المعدة والأمعاء.. وكذلك عثر على التركيبات الدوائية للملك أى على نسب خلط المواد، ولابد أن طبيبا أو كيميائيا هو الذى كتب هذه (الروشتة) لحاشية الملك..

وعثر العالم الفرنسى على جدول... ربما جدول لمواعيد تناول هذه المواد المنشطة أو التى تساعد فى هضم الطعام.. وهذا يدل على أن الملك توت كان يعانى من عسر هضم، أو لعله كان نباتيا ولا يتعاطى المواد الدهنية.. أو لعله كان حريصا على أن يبدو نحيفا رشيقا مما يجعله يصاب بالإمساك من حين إلى حين..

وجد عالم المصريات الفرنسى أن هناك بعض الأعشاب البرية قد وجدت بالصدفة بين الفاكهة والبذور..

وهذه الأعشاب تدلنا على (البيئة) الزراعية والجوية فى ذلك الوقت!!

ولا اثر فى كل طعام الملك لحيوانات أو طيور -فكـأن الطريـق إلى الصحة محفوف بالنباتات وليس بالحيوانات والأسـماك- إنهـا نصيحة هامة عمرهـا ثلاثـة آلاف سـنة يوجهها الملـك تـوت إلـى شعب مصر!!

العظماء والإمساك (٣)

ولا داعى للسمك أيضا!!

كنت قد قررت منفردا أن أمتنع عن أكل اللحوم.. لا ضرورة لها. ولا أجد لها طعما. ودعوت أيضا أن يتنبه الذين بلغوا الأربعين من أعمارهم أن يكفوا. فهناك أطعمة بديلة -الفول وكل البقول والبيض مثلا.

ودعوت إلى أن نترك اللحم للأطفال والمرضى. وأن نحسبها بالورقة والقلم فنجد أن الإمتناع عن اللحوم أو الإقلال مها يوفر مالا كثيرا.

وقلت فلنأكل السمك.. وكنت قد امتنعت عن اللحم والسمك عشرات السنين. ثم وجدتنى مضطرا أن أعود إليهما، بعد ما مللت الإجابة عن سؤال يتكرر مع كل وجبة خارج البيت: ولماذا لا تأكل اللحوم!!

وكنت أحكى قصة مللتها. ورحت أخترع قصصا مللتها هى أيضا. وسددت إستطلاعات الناس بأن أعدت اللحم إلى فمى.. وعندما كنت فى أمريكا فى العام الماضى.. وجدت حملة قومية تدعو الناس إلى الإمتناع عن اللحوم التى هى مصدر غنى لكل أمراض المعدة والمصارين والدم..

ففيها كل أمراض الحيوانات مضافا إليها المواد الكيماوية التى يتعاطاها الحيوان فى العلف وفى كل النباتات التى يعيش عليها، والهواء الملوث الذى يشمه، فأكل اللحوم إضافة سامة إلى بقية السموم الموجودة فى الجسم الإنسانى، وقيل أن السمك أقل ضررا..

ولكن ظهرت نظرية جديدة تقول: بل السمك أكثر حساسية للتلوث..

فماء البحر مثل ماء النهر مسموم ثم إن الطعام عادة -أنت تعتاد أن تشرب القهوة قبل أو بعد الأكل. وتعتاد مع الأكل أن تضع الكثير من الملح أو الشطة.. وتعتاد على الأرز والسمك وتعتاد على

اللحم وعلى السمك.. وعلى الأرز والبطاطس معـا (؟!) .. وتعتـاد أن تأكل الخبز مع كل طعام حتى لو كان الطعام أرزاً!!

ويمكن تغيير عادات الطعام والشراب. ووجدتنى لا أذوق اللحم ولا ألمس السـمك، ولـم أعـد أشـعر أننـى فقـدت شـيئا هامـاً فـى طعامى.!!

العظماء والإمساك (٤)

كانت للعالم المصرى الكبير أحمد زكى عبارة تقول: إذا غنيت رقصت معدتك!!

وكان يقصد بذلك أن الحالة ا لنفسية الجيدة هى التى تجعل المعدة تنشط وتهضم، والذين يرهقون أنفسهم أو حالتهم النفسية سيئة، هم الذين يشكون من أوجاع المعدة والمصارين، وكل الناس العصبيين أو الحساسين محكوم عليهم الموت بالمغص والتقلصات والإمساك والقرحة، لماذا؟ لأنهم لا يغنون وما داموا لا يغنون فإن معداتهم لا ترقص ومصارينهم لا تزغرد! فنحن لسنا أعصابا فقط، ولا مصارين فقط، وإنما نحن أعصاب وعضلات وغدد وعلاقات إجتماعية. كلها مربوطة معا. ولكنها تشد بعضها البعض. وتنعقد معا. والناس الذين يحتفظون بالمزاج المعتدل هم القادرون على أن يحققوا الإنسجام بين هذه القوى التى تحكم الإنسان.

ولكن نظرية جديدة تقول الآن: إن الجسم كله مجموعة من العازفين.. أوركسترا.. هذا الأوركسترا يتناوب قيادته العقل أو القلب أو المعدة أو الكرش أو الكرسى الذى تجلس عليه.

وكل إنسان له أوركسترا ولكن ليس لكل إنسان نفس قائد الأوركسترا.. ولذلك تضاربت النغمات، لأن الأهداف مختلفة، والنظرية الجديدة تقول: إنه لسبب ما ليس معروفا الآن تكون الفرقة الموسيقية مستعدة لأن تعزف أى لحن.. وأحيانا تكون الفرق مستعدة، ولكن ليس لها قائد.. أو تكون الفرقة مستعدة والقائد مستعد أيضا.. ولكن النوتة الموسيقية قد ضاعت فيكف نعرف ذلك؟

أعود مرة أخرى إلى الحاسب الألكترونى الذى اسمه "بيورذم" أى الإيقاع الحيوى. هذا الحاسب قد أمسكته أمس وضربت رقم السنة التى ولدت فيها على زرار الإيقاع الحيوى وقسمت الأرقام على اليوم وهذا الشهر وهذا العام.. وكانت النتيجة أنه يحسن بى أن لا أفعل أى شىء اليوم. لأن إيقاعى الحيوى فى الحضيض..

صدقت أيها الحاسب.. ارتميت على الفـراش فـى إنتظـار النـوم ولكن النوم لم يجيء.. فقد ظللت ألعب فى هذا الإختراع الجديـد حتى الصباح..

وقلت مرة أخرى صدقت أيها الحاسب العظيم. فإن الذى فعلتـه حتى الآن لا يليق برجل مثلى، وإنما بطفل عثر على لعبة جديدة!!

العظماء والإمساك (٥)

عندى كميات كبيرة من الأدوية أتمنى لو أعطيتها لأحد يحتاج إليها، أو لأحد المستشفيات يوزعها بالعدل على الناس، أو أتمنى ألا يحوجنى الله إليها!!

فأنا أحمل حقيبتين إذا سافرت: واحدة فيها الكتب والأخرى فيها الأدوية. أما أوجاعى فهى من ثلاثة أنواع: أوجاع المصارين والمصران الغليظ بصفة خاصة، فهو ذلك العفريت الذى يسكن الجانب الأيسر من بطنى ويصغر ويكبر ويتحول إلى قنفذ يشكنى أو أفعى تتلوى فى بطنى، أو ينقلب خازوقا، أو يصبح كالزفت المغلى.. وأحاول بكل ما أوتيت من معرفة أن أهدىء هذا الملعون فأرميه بالأقراص البيضاء والسوداء وأصب عليه السوائل أو أرتمى

على الفراش أحاول أن أسحقه بوزنى -٩٥ كيلو جراماً قبل الأكل!!

والنوع الثانى الخوف الشديد من البرد، أو الزكام.. وأعتقد أننى مزكوم أو فى حالة خوف طول أيام السنة..

والنوع الثالث: هو أوجاع العينين.. فإن نصيبى من القدرة على الرؤية متواضع.. وأرجو أن يديم الله هذه النعمة.. وخوفا على عينى فأننى أتعاطى الحبوب وأضع النظارات السوداء.. وأذهب إلى د. بهى الدين شلش كل ثلاثة شهور مستغلا علمه وبراعته ورقته أيضا.. وهو ككل الأطباء الكبار كلماتهم حلوة. كلماتهم قطرة..

وقد عوقبت على الإسراف فى تناول هذه العقاقير أشد أنواع العقاب...

فهذه العقاقير كلها لم تعد تأتى بالمفعول المطلوب.. فقد اعتاد جسمى على هذه المواد الكيميائية حتى أصبح يتفرج عليه

ا ولا يهتز لها.. تماما كما تسمع نكتة بايخة عشرين مرة من عشرين شخص.

هل تريد منى نصيحة بعد هذا كله؟ إن عالما نمساويا كبيرا تخصص فى الحيوانات خمسين عاما يقول: اسمعوا منى أيها القراء.. تعلموا من الكلاب..

أما الذى يجب أن نتعلمه من الكلاب فهو أن الكلاب عند المرض لا تأكل ولا تشرب وتأوى إلى مكان مظلم تماما، فالإظلام يريح العين.

ويريح "العصب التائه" فتهدأ المعدة والمصارين ويقوم الجسم بتعديل درجة الحرارة تلقائيا. فإذا اعتدلت درجة الحرارة والعرق فى كل الجسم، كان ذلك أنسب جو للشفاء..

فإذا نجحت هذه التجربة معك، فتعال معاً نلقى بما لدينا من أدوية فى النيل!!

العظماء والإمساك (٦)

من حين إلى حين اقرأ بعض الكتب القديمة. لإنها لا تخلو من حكمة، ولأن الإنسان فى حاجة إلى من يقول له كلاما جديدا.. وهذا الكلام القديم يعتبر جديدا لأنك لا تجده كثيرا على ألسنة الناس أو فى الصحف..

وكل ما قاله الأقدمون عن الصحة له أساس من الصحة. فالذى يقول لك: نم مبكرا واصح مبكرا ليس مخطئا، لأنها من الناحية الطبية قاعدة سليمة..

وهى من الناحية النفسية صحيحة أيضا. لأن الإنسان لا يستطيع أن ينام مبكرا إذا كانت أعصابه مرهقة. أو إذا كان ضميره يوجعه.. أى إذا كانت هناك هموم ثقيلة على نفسه. لم يستطع أن يتخلص منها. وهو لم يستطع ذلك لأنه لم يقم بتصفية حساباته مع الناس أولاً بأول. فالذى غضب منه لم يصالحه، أو لم يصافحه أو لم يقبل

رأسه قائلاً: حقك على أنا الغلطان.. لإنه إذا فعل ذلك استطاع أن ينام مبكرا. فإذا فعل ذلك أخذ الجسم نصيبه من الراحة. وصحا مبكرا. فالمفكر العربى القديم "الجاحظ" له كتاب مشهور عن البخلاء.

وفى هذا الكتاب يعرض أنواعا من البخلاء. من بين هؤلاء واحد يرى أن السلوك الوحيد الذى يكلفك قليلا هو أن تنام مبكرا.. فالذى ينام لا يأكل ولا يشرب ولا يضطره أحد أن يفعل ذلك، ولا يدعوه أحد إلى طعام أو يدعو أحدا إلى طعام.. إن النائم أقل الناس إنفاقا لطاقته وفلوسه!!

وفى كتاب قديم جدا لباحث صينى اسمه -يو-أن-تو لى- هذا الكتاب عنوانه "قصص عن أبناء النهر الأصفر". وفى إحدى القصص أن رجلا وزوجته كانا مشغولين بهموم الآخرين.. وإن هذا الإنشغال أفسد عليهما حياتهما تماما. فعندهما المال وهما مشغولان بالفقراء.

وعندهما الأولاد وهما مشغولان باليتامى.. وعندهما الصحة وهما مشغولان بالمرضى.. ثم مرض الرجل وزوجته وعاشا فقراء وماتا غرقا.. انتهت القصة.

أما الحكمة الأخلاقية للمؤلف فهى: ليس الذى يتعب الإنسان هو ما يعمله. ولكنه الهموم.. همومه أو إنشغاله بهموم الناس.. وليست كل الهموم تسقط مع الحذاء وأنت تذهب إلى فراشك.. بعضها يبقى إلى جوار رأسك على الوسادة.

والمعنى القديم هو: من يستطع أن ينام مبكرا، هو الذى يستطيع أن يصحو مبكراً.. وأن يعيش طويلا!!

العظماء والإمساك (٧)

من أربعة آلاف سنة اقترح موظف فرعونى شاطر أن يدفع الشعب للملك ثمن الهواء الذى يشمه سدا للعجز فى الميزانية.. رفض الملك، ولكن أيقن الاثنان أن الهواء ضرورى للإنسان وإن كان فى ذلك الوقت لم يعرف ما هو الهواء.

وكان هواء زمان غير هواء اليوم.. ذلك الهواء المسموم الذى يصيبنا فى القلب والمعدة وفى الخلايا .. وسوف يفعل ذلك ما دامت عندنا احتراقات هائلة فى المصانع والمحركات وبراكين وحرائق فى الغابات..

والآن عندنا مشكلة تهدد حياتنا.. أرجو أن تتصور أن الكرة الأرضية مثل كرة قدم تحمليها بيديك.. هذه الكرة قد أحاط بها عدة أكياس من القماش والبلاستيك.. أهمها الكيس الخارجى واسمه غاز الأوزون وإرتفاعه حوالى العشرين كيلومتراً.

هذا الكيس الخارجى يحجب أشعة الموت هذه اسمها: الأشعة فوق البنفسجية!!

وفجأة أكتشف العلماء أن الكيس الخارجى ظهرت بها ثقوب. وهذه الثقوب تتسع ومنها تفيض على الأرض أشعة الموت.. تقتل النبات والحيوان والأسماك وتصيب الإنسان بسرطان الجلد.

فلماذا هذه الثقوب؟ السبب هو أن الغازات المتصاعدة من الأرض قد نفذت فى غاز الأوزون الذى هو الدرع الواقية من الموت.. هذه الغازات أهمها غاز لطيف ظريف كان من مفاخر علماء الكيمياء.. هذا الغاز نستخدمه في التبريد وفى دفع الروائح من الرشاشات -الأسبراى البيروسول والأورسول.. والكولونيات - هذا الغاز اللطيف يهلهل درع الأوزون الاسم الكيميائى لهذا الغاز هو: كلورو - فولورو - مايثين.. وقد اكتشف العلماء هذه القدرة (الخارقة) للغاز فوق القطب الجنوبى..

ما الحل؟ كما أن الموت من صنعنا.. فالوقاية منه أيضا.. لا بد من إستخدام (الفلاتر) -أو المصافى حتى لا تتصاعد الغازات السامة، وحتى لا تسقط الأمطار الحامضية فوق السويد والنرويج

وكندا، فتقتل النباتات والحيوانات والأسماك.. ولا بد من الإقتصاد في إنتاج هذه الغازات الخارقة.. ومن أجل هذا يجتمع العلماء والرؤساء فى هولندا..

ملحوظة: باق لنا من الزمن على سطح الأرض بضعة آلاف من السنين فقد كانت الأرض هبة الشمس، واليوم تسترد الشمس ما وهبت!!

العظماء والإمساك (٨)

عندما توفى جمال عبد الناصر فى هذه السن الصغيرة تشكك الأطباء الصينيون وقالوا: الروس قتلوه!!

فهم لا يتصورون أن يموت الإنسان فى هذه السن لأى سبب؟!

ولكن حياة الزعماء والذين يقومون بأعمال قيادية فى مصر غير سليمة.. لا هى منتظمة ولا هى صحية.. ولذلك مات وسوف يموت أناس فى سن عبد الناصر وأصغر منه.. فالراحة لا تتناسب مع التعب.. وأهم عيوب حياتنا فى مصر أنها لا تعرف النظم. وربما بدت هذه العبارة بسيطة أو ساذجة. أو ليست جديدة على أحد ولكن اسمع كل ما يقوله لك العائدون من المستشفيات الأوروبية والأمريكية والمصحات فى سويسرا والنمسا والسويد.. إنهم يؤكدون معنى واحد هو أصعب هذه المعانى جميعاً.. لا بد من

النظام. نظام للعمل. نظام الراحة من العمل. نظام الوجبات والراحة بعد الوجبات..

ولكن لماذا؟ أى لماذا النظام؟ ولماذا لا يكون عندنا نظام؟ أولا لماذا النظام لأن الجسم الإنسانى جهاز دقيق ويجب العناية به وصيانته. صيانة الجسم أى الطعام والمضغ والهضم والإفرازات والإمتصاص.. وإتاحة الراحة لكل الغدد أن تعمل. وللجسم أن يستريح..

وليس العمل الكثير هو الإنتاج الكثير.. كما أ ن الإسراف فى الطعام ليس هو الصحة.. ولا النوم الكثير هو الراحة، ولا السهر الطويل هو النشاط الإيجابى..

ولكن لماذا نعجز عن تحقيق هذا النشاط؟؟

هذا السؤال لا يخطر لنا على البال، إلا عندما يهز الأطباء رؤوسهم يمينا وشمالا ويضربون كفا بكف ويقولون: إن الحديث النبوى هو غاية الحكمة الطبية فى كل العصور إن لبدنك عليك حقاً!!

وقد قرأت كتاباً عن الأعشاب للطبيب الفرنسى "ميساجيه" الذى كان يعالج الملك فاروق من التخمة والسمنة ويقـول فـى المقدمـة: أن أستاذى وأستاذ كل الأطباء الحكماء والعلماء هم الحيوانات. إن الله لم يعط هـذه الكائنـات عقـلا. فليسـوا فـى حاجـة إليـه. وإنمـا أودعهم سر الحكمة الإلهية. الغريزة التى تجعله يأكل بإنتظام. وبعد الأكل ينام.

يقول ميساجيه أيضا أنه اقبل الكاتب الإنجلـيزى السـاحر برنـارد شو، وكان نباتيا. فسـأله: مـا هـو سـر حكمتـك؟ قـال برنـارد شـو ضاحكا: إنني أمتنع عن أكل اللحوم بإنتظام.. وكان مـن عـادة شـو أن يضع اللحم على مائدته، ثم يتركها ويأكل السلطة.

فالإنتظام والنظام هو الصحة -إن أردت أن يطول عمرك!!

العظماء والإمساك (٩)

والله إننى فى حيرة مثلك تماما. عند النهاية من قراءة هذه السطور، فأنا لا كل اللحم بكل أنواعه وأسمائه، وأكل السمك، السبب أننى أصلا لا أحب اللحم. ولكن عندما وجدت نفسى موضوعا لتساؤلات الناس عن: أيه الحكاية ومنذ متى؟

ولماذا؟ عدت إلى أكل اللحم الذى لا أحبه ولا أطيقه ولا أسيغه. ثم عدلت عنه إلى السمك. لماذا؟ قال علماء التغذية والكيمياء والبيئة أن اللحم هو أكثر الأطعمة ضررا للجسم الإنسانى. لأن الحيوانات تأكل الأعشاب المسمومة بالمبيدات الحشرية والكيماويات.. وأن هذه السموم تتكدس فى أماكن مختلفة من هذه الحيوانات. وألوف الأدلة تؤكد ذلك..

وفى نفس الوقت فإننى أسرف فى أكل كل الخضراوات التى تتعرض للسموم التى تدخل الحيوانات؟!! وهذه السموم لا يغسلها

الماء والصابون.. وكذلك اللبن بكل أنواعه سام.. حتى عسل النحل الذى كان يخلو من الميكروبات لأن العسل قاتل لكل أنواع الميكروبات.. هذا العسل مغشوش فقد علمنا أن النحل يكذب. قدمنا له طشوت الماء بالسكر مع ماء الورد والزهر . فيتجه النحل إلى السكر وإلى الرائحة ويفرز هذا الذى تأكله على أنه عسل نحل
-إنه عسل بلا نحل فالنحل يا ولداه أصبح ذبابا!!

آخر كلام فى دنيا الأحياء البحرية إنها هى الأخرى تحتوى على كميات من السموم لا حصر لها.. أليس البحر ملوثا؟ أليس النهر ملوثا بالجيف والمخلفات الصناعية والرواسب الكيماوية.. أليست الأعشاب التى يأكلها السمك مسمومة؟

أما ماء الحنفية فيمكن ترشيحه بالمنديل أو القطن ثم يمكن عصر الليمون على الماء فيقتل ما لا نهاية له من الميكروبات.

فما القول فى الأطعمة التى تدخل الفرن والتى لا تدخل؟ ما هى قدرة الجسم على المقاومة وعلى المناعة وأين تقف الأدوية التى هى قوات مرتزقة تحارب إلى جانب (القوات الوطنية) فى الجسم؟

وما العمل إذا كانت القوات المعادية للجسم الإنسانى تغير خططها أولاً بأول، لأنها أيضا تريد أن تعيش؟؟

هل قلت أنت: خليها على الله؟ هلى فعلا على الله.. وإنها لمعجزة يومية أن تجد نفسك بعد كل ذلك ما تزال حيا تقرأ ولا تريد أن تصدق كل الذى قلته أنا هنا ويقوله غيرى فى أماكن أخرى!

العظماء والإمساك (١٠)

آخر كلام: كل الأطعمة التى تتناولها والهواء الذى تشمه مسموم.. مسموم يا ولدى!!

ليس هذا رأيى. ولكن انتهى علماء أمريكا إلى هذه النتيجة أما العلاج فهو أنهم تقدموا بطلب إلى زملائهم علماء الكيمياء والميكانيكا أن يقللوا من إستخدام المواد الكيماوية فى القضاء على الآفات الزراعية. فالمواد تقتل الآفات ولكن النباتات والحيوانات تحتفظ بما زاد عن حاجة الحشرات والطيور لكى تموت. وتقدم علماء الكيمياء إلى علماء الميكانيكا أن يبحثوا لهم عن حل لزيادة عادم السيارات والطيارات . وعلماء الميكانيكا تقدموا بطلب إلى علماء الطب بأن يقللوا من إعطاء روشتات للمرضى بقوائم لا تنتهى من الأدوية، والأطباء ينصحون المرضى بأن يغلوا لماء وأن يغسلوا الخضراوات بالمطهرات. وعلماء النفس يقولون: أبدا ولا يهمك

الأعصاب يجب أن تكون هادئة لأن الأعصاب المضطربة تفرز مواد كيماوية أقسى من المواد التى تجىء إليك مع اللحم واللبن وقشر الفاكهة والخضراوات .. ويكفى أن تشرب فنجان من القهوة أو الشاى .. وعلماء التغذية يقولون: ولا حتى فنجان القهوة .. فالمواد الحافظة للبن والنسكافيه عديم الكافيين تسبب السرطان - واللحم المشوى على الفحم .. والبخار الذى يتصاعد من الزفت عند رصف الشوارع !

هل هناك حل ؟ الجواب : لا .. إذن كيف يعيش الإنسان بعد كل هذا الذى قاله العلماء ؟ يعود العلماء إلى ذكر الله عندما يحتارون فى الحل .. ويقولون: إن الله سبحانه وتعالى قد جعل فى الجسم الإنسانى جيشا إحتياطيا لايقف على حيله إلا عند الخطر العظيم. فعلى الرغم من السموم التى صنعها بيديه ليموت ويدفن نفسه تحت جلده ..

أين هذا الجيش؟ ومتى وكيف وإلى متى تظل هذه القوى الخفية قادرة على إنقاذ الإنسان فى آخر لحظة .. لا أحد يعرف بالضبط

ولكن السموم التى يبتلعها الإنسان كل يوم نصفها يقتل فيلا .. ومع ذلك فإنه لا يموت. كيف؟ إنها إرادة الله !

إنهــم غائبــون ..

طبيعى جدا أن يتجه الأولاد إلى الحشيش والمخدرات الأخرى . مادام الأب ليس هنا. والأم كذلك .. ما الذى تتوقعه صاحبة الفخامة البريطانية دوقة كنت؟ ما الذى تتوقعه جين فوندا من ابنتها؟ وما الذى يتوقعه كثير من نجوم السينما والسياسة والصناعة .. لقد انشغلت المرأة الناجحة بمواصلة النجاح وتحديات المهنة والحياة . فلم يعد عندها وقت لكى تعرف بالضبط ما الذى تفعله ابنتها أو ابنها .. إنها تركت البنت للخادمة - كل بنات وأبناء الناجحين تربية خادمات وسفرجية .. وكلهم يتامى - كأنهم يتامى . فليس اليتيم هو الذى مات أبواه ، ولكن كأنهما !

ولذلك كثير من النجوم يبعدون أولادهم عن بيوتهم وعن حياتهم ويبعثون بهم ليتعلموا بعيدا - بعيدا عن عيون الناس .. بعيدا عن الحياة الخاصة لوالدته أو لوالده .. وبذلك يكبر الطفل

مختلفا . وتكون الأم أكثر حرية. أما أن الأم أو الأب سوف يبقى أكثر حرية ، فصحيح. وأما أن الأبن أو الأبنة ستكون بعيدة عن الأم أيضا .. ولكن البعد عن الأم والأب ليس عن الفساد والحرية المطلقة، وليس بعيدا عن الشعور بالعزلة وبانه منبوذ وبانه معزول وبانه غير قادر على أن يقول : أمى كذا وأبى كذا .. فقد علمه الأب والأم أن حياتهما "عورة" يجب أن تكون بعيدة عن عينيه وأذنيه!

تقول الممثلة الأمريكية جين فوندا بعد أن ضبطت ابنتها والهيروين : غلطتى .. فالأب ليس هناك والأم أيضا . إن ابنتى ضالة !

أما صاحب مئات الملايين فولهوزن الألمانى الأمريكى فهو فشل تماما فى علاج ابنه من المخدرات مع أنه قد رصد له كل الذين يعلمونه حسن السير والسلوك - والرجل صادق تماما ولكنه نسى أن له ابنا وان للأبن أما هاجرت مع عشيق إلى بلاد بعيدة ؟!

وقبل ذلك ويتا هيوارث ولانـاتيرنر وممثـلات مصريـات أيضـا ونجوم وكواكب فى كل فن وعلم وصناعة إنها قضيـة واحـدة .. إذا لم يكـن الطفـل فـى عينـى أبيـه وأمـه التقطتـه الأيـدى القـذرة والعيون الجريئة ، واتسعت له ظلمات المواخير والزنـازين والغـرز وليس الذى يعرضه التليفزيون إلا عينات قليلة جدا من فئـة واحـدة جاهلة فقيرة !

هــــارب إلى القاهـــــرة ..

أكثر الناس لا يشربون الماء بلا لون ولا طعم ولا رائحة فنحن نشرب الشاى والقهوة والمياه الغازية، ولكن يحدث أحيانا كثيرة أن نشتهى طعم الماء كما خلقه الله، حتى هذا الماء أصبح نادرا. فالماء الذى ينزل من الحنفية قد عالجناه بالمواد الكيماوية التى تطهره من الطفيليات بسبب ركود مياه النيل، وبسبب ركود المياه فى الخزانات وفى المواسير، ولذلك وجدنا الماء بلا لون فمن المؤكد أن له طعماً، وهذه الطعم قد اعتدنا عليه، كما اعتدنا على العقاقير، فلم يعد الماء إلا نوعا من العقاقير، وإذا اكتشف الواحد منا أن الماء بلا طعم، فإنه يفزع على صحته!!

وكنا فى القاهرة نهرب من مصر الجديدة لأن مياهها ارتوازية، ولأن بها قدرا من الأملاح، تجعل من يشربها فى حالة عطش دائم. ثم إنها تفسد مذاق الشاى والقهوة..

وهذه هى المرة الأولى التى أسارع فيهـا إلـى القـاهرة لا هربـا من جمال الإسكندرية وهدوئها. ولا يأسا من أن أتعلـم السـباحة. ولا حقدا علـى الذيـن يـأكلون الكائنـات البحريـة وهـى مـا تـزال تتحرك تحت عصير الليمون، ولكن أمـلا فـى أن أشـرب مـاء بـلا طعم.. أو له طعم مقبول. حاولت أن أخفى طعم مياه الإسكندرية بالشاى لـم أفلـح بـالبن الكثـير. فشـلت بـالبن واللبـن و كثـير مـن السكر، تأكد فشلى. حاولت كما يفعل بعض "الكييفة " أن أصنع الشاى بالمياه المعدنيـة، فاكتشـفت أن الميـاه المعدنيـة لهـا طعـم المياه العادية -فلا هى معدنية ولا هى عادية..

ولا أعرف ماذا الذى أصاب مياه الإسكندرية إنها أصبحـت لا تطاق– أى لا يطيقها اللسان ولا يتغلب عليها طعم الشاى والبـن. إن شيئا ما قد أضيف إليها بكميات كثيرة، أهى مـواد كيماويـة أو انفتحت عليها مياه المجارى، أو إنها من البحر..

من أجل ذلك هربت إلى القاهرة!!

دواء كثير : شفـــاء قليل !!

لم يجد الطبيب العالمى ما يقوله للمريض المصرى الـذى يـزن تسعين كيلو جراما وفى الخمسين من عمره ويشـكو مـن أوجـاع فى ساقه وفى ظهره. بعد أن رأى لسانه وبياض عينه. وعرف عدد السجائر التى يدخنها، وأنه عصبى وأن والده كان مريضا بالسكر، وأنه مثل معظم أبناء الريف قد أصيب بالتلوث المزمن" البلهارسـيا والإنكلستوما والدوسنتاريا. قال له الطبيب: عليك بالصوم!!

قال المريض: أصوم رمضان ثلاثين يوما كل سنة.

قال الطبيب: ولكن لم ينقـص وزنـك ولا خفـت عظـامك ولا هدأت أعصابك وانسدت شهيتك ولا نقصت سـجائرك! إذن فـلا بد من أنواع أخرى من الصيام..

أما الصيام الذى رآه الطبيـب فهـو أن يتنـاول وجبـة واحـدة أو على الأصح نصف وجبة. فيضع أمامه كل يوم ما اعتـاد أن يأكلـه

ثم يأكل نصفه تماما. ويفضل أن يكون ذلك فى وجبة الغذاء.. أو العشاء.. بشرط أن ينام بعدها بثلاث ساعات.

وأن يتحرك فى أى مكان. ففى مكتبه يجب أن يترك مقعده ويدور حوله أو حتى حول نفسه. المهم أن يتحرك. أى يصوم عن الجلوس الطويل.

أما الصيام الذى أصر عليه د. أسكول أشهر أطباء السويد فهو ألا يتناول المريض المصرى أية عقاقير إلا عند الضرورة. وأن يكون ذلك بأمر الطبيب. حتى الأسبرين يجب أن يقتصد فيه..

وضحك الطبيب قائلا: طبعا أنت تريد روشتة كما هى العادة!

ومد الطبيب يده بورقة مطوية وقال للمريض: هذه الروشتة لك ولأسرتك مدى الحياة..

وكان الذى كتبه الطبيب هو هذه الحكمة: طعام كثير مرض كثير. دواء كثير: شفاء قليل!!

نصيحــة لكــل أم ..

بسبب أن المـرأة حريصـة علـى خطوطهـا الجماليـة -صدرهـا خصوصا- فهى لا ترضع طفلها وإنمـا تعطيـه لبنـا صناعيـاً. وهـى قضية قديمة منذ أن اشتغلت المرأة. ومنذ تحديد النسل. ومنـذ أن كـان لبـن بعـض الأمهـات قليـلا. ولكـن الجديـد هـو أن مجلـة (لانست) الطبية العظيمة الإحترام فى العالم قد فتحـت ملـف لبـن الأم واللبن الصناعى واستأنفت الحكم فى هذه القضية..

وترى هذه المجلة فـى عددهـا الأخير أن لبـن الأم هـو الـذى يجعل الطفل أقوى وأذكى، وقد درست المجلة حالات ألوف من الأطفال فى سن السابعة - فبعضهم عاش علـى الرضاعـة والبعـض الآخر على لبن الأنابيب.. واكتشف العلماء أن الطفل الذى يرضع من ثدى أمه، هو الأكثر مناعة، والأكـثر صحـة والأكـثر ذكـاءً -

حتى لو كان اللبن الصناعى يحتوى على كل الفيتامينات الموجودة فى لبن الأم..

أما السبب الأهم فهو (إلتحام) الطفل بأمه، أى ملامسة جسمه لجسمها، وهذه الملامسة هى التى تصنع المعجزات، فالطفل الذى يعرف الأمان، غير الطفل الذى ينتقل كل يوم من صدر أم إلى صدر مرضعة.. أى الطفل الذى لا يعرف إلا (الببرونة).. وإنما يعرف الأحضان الدافئة..

وبسبب ظروف العمل والسرعة فإن الأم أصبحت غير قادرة على أن ترضع طفلها حتى يشبع.

فى الإستفتاء الذى أجرته مجلة (لانست) نجد أن بعض الأمهات يقلن أنهن مضطرات إلى إرضاع الطفل بعض الوقت لكى تلحق بالأتوبيس أو بمواعيد العمل.. فلإنها تعمل أشياء كثيرة فى البيت.. فالطفل ليس إلا واحداً من همومها.. ثم تترك للخادمة أن تتولى رضاعة الطفل من اللبن الصناعي.. وبعض الأطفال يرفض ذلك فدرجة حرارة ثدى الأم مختلف.. وهذا

الإختلاف يقلق الرضيع.. ويجعله يبكى ويصرخ ويصاب بتقلصات.. وهذه هى بداية العقد النفسية والأوجاع الجسمية..

ومجلة (لانست) الطبية العالمية تتوجه إلى كل أم بهذه النتائج القاطعة لعلها تعيد النظر فى سلوكها -هذا إذا كان الطفل له أهمية خاصة عند والديه، وإلا فإن هذه المجلة لا تتوجه إلى الأمهات بهذا الكلام - ولا أنا!!

الحيــاة الزوجية أفضل ..

قرأت إستفتاء لأحد المجلات الفرنسية عن كيفية قضاء وقت الفراغ فى الصيف. وجاء توزيع الوقت على الترتيب التالى: الأكل والتليفزيون والراديو والسباحة والقراءة والمقابلات والعمل الإضافى والنوم ورياضة المشى -عند الرجال.

وعند النساء على الترتيب: الأكل والقراءة والتليفزيون والموسيقى وشغل البيت والعمل الإضافى واللقاءات..

وتدل الإحصائيات أيضا على أن المرأة أكثر إقبالا على الكتب الدينية وأن الرجل يفضل الكتب السياسية والعلمية والمغامرات.

وأن المرأة هى التى تتولى تربية ابنها تربية دينية. وأنه من النادر أن يطلب أب من ابنه أن يذهب للصلاة _ إنها الأم: تدعوه وتنصحه وتأخذ بيده إلى الصلاة. وهى التى تبرر وتفسر لطفلها

لماذا يعود أبوه متأخرا ولماذا هو يتساند على المقاعد، مع أنه ينصحه -أى الطفل- أن لا يفعل ذلك!!

وفى إستفتاء آخر: هل تفضلين أن يكون لك ابن من أب غير معروف. أو أب ليس زوجا لك، أو من أب هو زوج لك؟

قالت معظم الأمهات: صحيح أننى لا يهمنى أن يكون الأب موجودا أو غير موجود. فأنا حرة. والمجتمع يقبل ذلك، ولكنى لا أحب أن أجنى على ولدى، وافرض عليه حماقتى.. أحب لإبنى أن يجد أباه معه. وأن يتأكد من العلاقة السليمة بيننا.. وأن يكون ابنى قويما مستقيما سويا، فيكون أقدر على بناء أسرة ومجتمع أفضل..

فقد كان من عادة الأمهات غير المتزوجات أن يعلن لأطفالهن: ولكن أباك مات فى الحرب بطلا شهيدا!!

ولم تعد هناك حروب. فلم يبق إلا أن تذكر أبيه: ويسأل الطفل: وأين أبوه الآن فهو يريد أن يراه..

وهنا تخترع الأمهات قصصاً لا أول لها ولا آخر..

خلاصة الإستفتاء: أن المرأة الفرنسية تفضل الحياة الزوجية الشريفة الكريمة التى يتولد منها أطفال أصحاء!!!

الحب والزواج بلا قواعد (١) ..

فى حديث إذاعى سئلت: هل الحب يجىء بعد الزواج أو يجىء قبله؟ هل الإنسان يتزوج ثم يحب، أو يحب ثم يتزوج؟ وأيهما القديم وأيهما الجديد..

الزواج قديم والحب أيضاً. وأفضل أن يكون الحب سابقا على الزواج. أو أن لم يكن الحب، فلا أقل من أن يكون التفاهم والإتفاق سابقاً على الحب، لأن التفاهم خطوة إلى الحب..

فالحب معناه: أن الاثنين التقيا وتفاهما ثم اعتادا على ذلك.. وأصبح كل منهما حريصاً على الآخر فالتفاهم والتعود والحرص والرغبة القوية فى أن يكونا معاً فى كيمياء الحب..

وفى مرحلة الحب لا تكون للأشياء والعلاقات حجمها ووزنها الطبيعى إنها أكثر بريقاً وأكبر وزنا وحجما فالحب هو

إتفاق بين شخصين فى ظروف غير عادية، على أن تكون لهما علاقات عادية..

وإذا كان الحب يخفى العيوب فإنه يبالغ فى مزايا كل من الطرفين ويجىء الزواج فيجعل الحياة عادية وتنخفض درجة الحرارة وينطفئ التوهج والبريق. وتستعيد الأشياء والعلاقات أوزانها وأحجامها.. ثم أن الحب الباقى بعد الزواج يخلق التوهج من حين إلى حين، فيصبح الطريق الطويل أقصر، والمشاكل المعقدة أيسر، والمتاعب أهون والتضحية واجبة، وتمضى الحياة..

وقد يلتقى اثنان ويتواجهان ويتحسس أحدهما للآخر بمشاعره وأفكاره بعد الزواج، وقد يكون حب ويكون أعمق، ولكن مثل هذا المجتمع التجارى أعتاد الزبون أن يقلب فى السلعة قبل أن يشتريها، ويقرأ فهرس الكتاب قبل أن يقتنيه، ويسمع عن الأفلام قبل أن يشاهدها، خير له أن يكون الزواج ثمرة للحب.

ومع ذلك فلا توجد قواعد للحب أو حتى لـلزواج: فهـو مثـل البرق والرعد ومثل ضربة الشمس ومثل إنهيـار العمـارات وتفجـر البترول: مفاجأة!!

الحب والزواج بلا قواعد (٢)..

ترى إمـرأة جميلـة وزوجهـا قبيـح وتـرى العكـس، ولا تنتهـى دهشتك ويمكن أن تواتيك مثـل هـذه العبـارة عنـده نظـر، وليـس عندها ذوق. أو العكس، إنهـا قصـة الغـراب واليمامـة، أو الغـزال والقرد..

ولكنك لا تعـرف كيـف فعلـت الكيميـاء بيـن الاثنيـن.. فكـل العلاقات الإنسانية كيمياء مواد تذوب فى سوائل. قصص تتحـول إلى ملاحم، ليـلاً ونهـاراً، أنـت لا تعـرف ولكـن هنـاك علامـات للسلوك الإنسانى.

مثلا الرجل يميل إلى الفتاة المثقفة جـداً، ويعجـب بهـا ولكنـه يبتعد عنها تماماً، إنه يخاف منها أن توجع دماغه أو تتعالى عليه..

وهـو يميـل إلـى المـرأة ذات الـدم الخفيـف. تسـليه وتجعلـه يضحك، ولكنه فى نفس الوقت يرى أنها "مهرجة" وأنهـا ليسـت

جادة. وأنها سوف تتناول حياتهما معاً. أو حبه لها بإستخفاف فيبعد عنها أيضاً..

ويحب المرأة التى تخربشه وتوجعه وتجرحه، ويرى فى قوتها ما يدل على أن أحدا لم يقربها. ويرى أنها سوف تحمى حبهما وحياتهما الزوجية، وأنها مادامت هكذا لها أنياب وأظافر فهى الفتاة البعيدة المنال.. وإذا فاز بها فقد فاز بفتاة صعبة..

ثم إنه يحب الفتاة التى تجعله يجرى وراءها، إنه يكره المرأة السهلة. وقد تكون السهلة أصدق، وتكون الصعبة أكثر تجربة، ولكنه يفضل الصعبة التى تقطع نفسه: جريا وسعيا وقصصاً وهدايا وإنشغالاً ودموعاً وأرقاً..

وإذا كان الرجل يمارس غريزة الصياد فإن المرأة تمارس غريزة "الضحية" أى الإنتظار والتظاهر بالوقوع فى شباكه!!

ولكنه يتزوج الفتاة التى تعاكسه.. التى تغازله أى تجعله يشعر بأنها لا تستطيع أن تقاومه..

وذلك لما فيه من صفات جسمية وإجتماعية وعقلية لا يمكن أن تسكت عليها. فهو هكذا مرغوب. لا يقاوم. ويكون هو وسيما وتكون هى قبيحة...

الحب والزواج بلا قواعد (٣)

الأفلام التى يظهر فيها الأب يغسل ويكنس ويكـوى ويشـطف الأطفال ويذهب بهم إلى المدرسة ليست أفلاما فكاهية- حتى لو أضحكتنا، وإنما هـو واقـع جديـد.. فـالأم تـترك الأولاد لزوجهـا يبلهم ويشرب ميتهم وتذهب هى لعملها..لقـد بلـغ عـدد الرجـال الذين يطلق عليهم اسم (الأب الوحيد) فى بريطانيا نصف مليون.. وفى أمريكا ثلاثة أمثال هـذا العـدد..فـى العـام المـاضى أصـدرت بريطانيا قانوناً جديداً يعطى الطفل الحق عنـد الحضانـة أن يختـار بين أمه وأبيه..

وبعـض الأمهـات إذا اختارهـا أولادهـا، فإنهـا تسـاوم زوجهـا السابق وتتنازل له عن الأولاد.!!

فما الذى أصاب المـرأة؟. لا شـىء سـوى أن مفهـوم الأمومـة (المقدسة) تغير عندها. هناك أمومة. أى نعم. ولكن من قال إنهـا

مقدسة؟ إنهم الرجال الذين جعلوها مقدسة حتى يكون الأطفال دائماً من نصيب الأم، مهما كلفها ذلك من تضحيات.. وليس أقل هذه التضحية: عملها ولكن الأم تجد ذاتها فى عملها وفى حمل أعباء جديدة، وأن تجد متعة المكافأة على ذلك.. وهى تفضل أن تكون موظفة طافحة الدم، على أن تكون ست بيت فهى لا تريد أن تكون ضحية فكرة أطلقها الرجل، فوقعت هى فى مصيدتها..

وبعض الأمهات يرين أن بقاء الأطفال مع الأب أنفع لهم، فهم فى حاجة إلى تربية وإلى قوة وإلى صرامة. وربما كانت البنت هى وحدها التى فى حاجة إلى أمها.. ففى هموم الفتاة من المشاكل والمخاوف ما لا يستطيع الأب أن يحلها.. الأم هى الأقدر على إقناع البنت وعلى تزويدها بالثقة فى النفس..

وإذا كان الزواج جريمة، فالأطفال هم العقوبة!! عقوبة الأبوين معاً..

ولكن المرأة ترى أنها عقوبة يستحقها الأب وحده، ولذلك فإنها ترهب بجلدها من إكمال مهمتها (المقدسة) فى تربية الأطفال..

إن قيماً جديدة وعلاقات مختلفة سوف تظهر فى الأجيال القادمة التى يقوم فيها الأب بدور الأم والأب معاً..

الحب والزواج بلا قواعد (٤)

يتشابه الأزواج فى ملامح الوجه بعد عشرين عاماً أو ثلاثين من الزواج ولذلك تفسيرات كثيرة.

من بينها هرمونات الزوج التى تغير ملامح الزوجة وتجعلها مشابهة للرجل..

ومن بينها أن الظروف الواحدة والأحداث الواحدة وردود الفعل الواحدة تخلق ملامح متشابهة فى النهاية. ويمكنك أن تلاحظ ذلك عندما تلتقى بأحد الزوجين وتسأله فى موضوع ثم تسأل الزوج الآخر. وتندهش بعد ذلك فقد تلقيت نفس الإجابة وبنفس الكلمات.. وربما نفس الحركات. ويخيل إليك أنهما متشابهان من البداية ولذلك تزوجا. والحقيقة غير ذلك. إنهما لم يتشابها فى الفعل ورد الفعل إلا بعد سنوات طويلة من العشرة الكاملة!!

وكثيرا ما يتشابه الزوجان لدرجة تجعلك تتصور أنهما أقارب.. أو يتصور الذى لا يعرفهما إنهما أخوان!!

هذا يحدث بين الأزواج شديدى التفاهم. أما الأزواج الذين لا تفاهم بينهم. فلا تشابه فى ملامح الوجه..

وقد أجرى العلماء الأمريكان والألمان تجارب على الزيجات الطويلة.. وأعطوا لعدد من الناس صوراً لهؤلاء الأزواج فكان من السهل إنتقاء الصور المتشابهة بينما وجدوا صعوبة فى إختيار صور الأزواج حديثوا الزواج.. أو أنهم تزوجوا طويلا ولم بينهم توافق فى كثير من ردود الفعل. لقد كانت حياتهم الزوجية طويلة، ولكن تعايشهم قصير. وتوافقهم قليل..

وهناك رأى بأن الأطعمة الواحدة تؤدى إلى نفس النتيجة..

وكذلك الأفكار الواحدة والتعصب الدينى أو السياسى أو الرياضى إذا كان منتظماً مستمراً، فإنه يؤدى إلى نفس النتيجة. ولذلك تجد الناس فى الملاعب يقولون: أننى لا أستطيع أن أفرق بين الأهلاوى والزملكاوى. مثلاً الأهلاوى هادىء لأنه ضامن

النتيجة دائماً. أما الزملكاوى فعصبى لأنه يكره الظلم ولكنه يعلم أن ناديه سوف يكسب في النهاية. مثلاً..

وفى بعض الأحيان تكون الملاحظات صحيحة..

ولكن عندما نظرت إلى وجهى فى المرآة لاحظت أنه يشبهنى تماما -مع إننى لا أعايش هذا الوجه وصاحبه إلا قليلا جداًا!

أى شــــىء لذيذ ..

الأباء والأمهات سعداء بأن أطفالهم مشغولون جـداً بالدراسـة فالمدرسة تهد حيل الطفل لعبا ومذاكرة حتى إذا جاء موعد نومـه كان قطعة من الفراش لا حس ولا حركة!!

ولكن الآباء والأمهات أيضا يشفقون على أولادهـم مـن كـثرة الكتب والمذاكرة والواجبات والإرهـاق والإمتنـاع عـن الطعـام.. ويتساءلون وما قيمة هذه المعلومات التى تحشـرها المدرسـة فـى الـرؤوس الصغـيرة.. ولمـاذا لا يختصـــرون المنــاهج، ولمــاذا لا يرحمون الصغار ولماذا لا تكون الكتــب ألطـف وأجمـل وأسـهل لمـاذا.. وألـف لمـاذا.. وكلهـا إستنكار للمدرسـين والمؤلفيـن وسياسة الدولة التعليمية!!

وقد تنوعت أساليب التدريس وأشكال وألوان وأحجام الكتب حتى صارت الكتب لعباً يحركها الطفل. فكان اللعب علماً. والعمل لعباً..

وكلها حيل يلجأ إليها علماء التربية ليجعلوا المعلومات تصل إلى الطفل فى لذة.. فيحب الكتب التى هى علم، والعلم الذى هو نوع من اللعب..

وفى بريطانيا أجرى إستفتاء شامل بين نظار ٦٣٦ مدرسة. وكان موضوع الإستفتاء هو: هل المقررات الطويلة قضت على حب القراءة عند الطفل؟ هل لو كانت المقررات أقل وأخف لإتجه الطفل إلى القراءة الحرة والتفكير المستقل؟؟

إن ٧٠٪ من نظار المدارس قالوا: إن إنقاص المقررات لا يؤدى حتماً إلى أن يتجه الطفل إلى قراءة قصص وحكايات وتاريخ المغامرات..

وإنما سوف يندفع مباشرة إلى اللعب أو التليفزيون..

و٣٠٪ من النظار قالوا: إن الطفل لا يستطيع أن يقاوم القراءة الحرة أو محاولة الرسم أو الكتابة أو زيارة المتاحف..

فالمعلومات كثيرة والوقت قليل ولا خوف علـى عقـل الطفـل مـن زحـام المعلومـات وضغطهـا، فعقلـه قـادر علـى الهضـم والإستيعاب والإنتقاء وهو يلعب!!

وسؤال آخر: ما هى القراءة الممتعة للطفل؟ وكان الجواب أن القراءة الممتعة مثل السندوتشات التى يشتريها.. إنهـا أى شـىء يؤديه بلذة التمرد على كل ما هو مقرر من الكتب والطعام!!

لمن هــب ودب ..

أقولها مرة أخرى: عدد الجامعات فى مصر، أكثر مـن عددهـا فى دول أوروبية كثيرة مع أن نسبة الأمية فـى مصـر حوالـى ٦٠٪ من عدد السكان..

والجامعات المصرية مفتوحة على الآخر لكل من هب ودب.. وبذلك نكون قد فسرنا حرية التعليم تفسيرا خاطئاً.. صحيـح مـن حق أى إنسان أن يتعلم، تماما كما أن من حقـه أن يكـون رئيسـا للجمهورية.. ولكن هنـاك شـروط. أول هـذه الشـروط أن يكـون متفوقاً..

وثانياً: أن تكون الدولة فى حاجـة إليـه، والـذى لا يسـتطع أن يدخل الجامعة، يتحول إلى المدارس الفنية المتوسطة.

ثالثاً: أنه نتيجة لهذا التوسع الأفقى للتعليم الجـامعى، أصبحـت عندنا كليات بلا أقسام وأقسام بلا أساتذة وخريجون بلا عمل!!

رابعاً: أن عدد الخريجين من الكليات النظرية أضعاف خريجى الكليات العملية..

ومن المضحك والطبيعى أيضا أن تجد قسماً للأعلام فى إحدى الجامعات الإقليمية. من مئات الطلبة وليس هناك مدرس واحد -بل معيد يتيم؟!!

وأمام مئات الألوف من الطلبة، لا أحد يستطيع أن يعلم من أحد.. لا لغة ولا فنا ولا علماً، ولذلك خرج الطلبة كما دخلوا، أقل علماً وتجربة وأكثر سخطاً على الجامعة التى طردتهم، وعلى المجتمع الذى لا يجد لهم عملاً ! فكأننا نعلم المواطنين كيف يكرهون بلادهم وحياتهم من أجلها..

ومن هنا يجب أن يبدأ الإصلاح: إصلاح التعليم الجامعى الذى يتوسع أفقياً فيجعل لكل محافظة جامعة، تماما كما يكون لها ملعب كرة قدم ومجلس مدينة وكأن الشهادة الجامعية، هى كل ما ينقص مصر. إن مصر تبدد أموالها عندما تستصلح أرضا زراعية يقوم الناس بتجريفها، وتبدد أموالها مرة أخرى عندما تعلم

مئات الألوف فيتخرجون كالأرض الخبيثة التى تنطر البـذور، فـلا هى أرض زراعية، ولا هى أرض بور!!

الإبـــن أهـــم !!

خبر صغير نشرته صحيفة "مايو" فى صفحتها الأولى يقول: إن مستر فاولر وزير العمل البريطانى وهو من ألمــع الـوزراء واحبهـم إلى قلب المرأة الحديديـة مسـز تاتشـر، قـد استقال مـن منصبـه، ليتفرغ لتربية طفلتيه!!

وإذا أنت عدت إلى قراءة هـذه السـطور السـابقة مـرة أخـرى، فإنك لا تصدق ما تراه عيناك.. وزير بريطانى ناجح جداً للسنوات العشرة الماضية. وفى هذه الأثناء ولدت له طفلتـان. وقـد صـارح زملاءه بأنه لن يغفر لنفسـه أبـداً أن تنمـو ابنتـاه وكأنـه ميـت.. أو كأنهما يتيمتان بـلا أب ولا أم.. ولا بـد أن يتحـول حبـه الشـديد لهما إلى عناية أكبر وحنان حقيقى..

وقال أيضاً: إنه ليس إنجـازاً عظيمـا أن يكـون الإنسـان وزيـرا ناجحاً وأبـاً فاشلاً.. أو أباً نصف ناجح.

وإذا انحرفت ابنتاه أن يقول: إنها أقل تضحية من أجل الوطن. إننى لا أستطيع أن أمضى فى الكذب على نفسى وخيانة هاتين الطفلتين.

فقرر الإستقالة من منصبه كوزير للعمل واكتفى أن يظل عضوا فى مجلس العموم. ويوم قدم إستقالته لرئيسة الوزراء. كانت تعرف أسباب الإستقالة وعندما زاره زملاءه فى البيت فوجئ الزملاء بأنه يزحف على يديه ورجليه فى البيت وان ابنتيه يركبان ويصرخان: بابا حصان.. بابا حصان!!

ولم يكن الوزير فى حاجة إلى أن يفسر لضيوفه هذا الذى يرونه فهم آباء مثله، ولكنهم أقل شجاعة وأقل إستعداداً للتضحية..

وفى اليوم التالى ذهب الوزير إلى المدرسة ليعرف جميع المدرسات ومديرة المدرسة، وسأل إن كانت لطفلتيه أية مشكلة من أى نوع وإن كانت المدرسة فى حاجة إلى مساعدة خاصة..

أما زوجة الوزير فبقيت فى عملها أمينة لمكتبة مجلس العموم. طلبت أن تتفرغ لتربية الأولاد. ولكنه أصر على أن يتقاسم الاثنان

هذا الواجب النبيل -إنه أول وزير فى التاريخ استقال من أجل أن يكون أباً مثالياً!!

المـــرور : أدب !!

هناك فرق كبير بين وضع علامات المرور على الأرض أو على الرصيف أو إقامة علامات ملونة.. وبين آداب المرور.

أى هناك فرق بين تنظيم المرور وبين آداب المرور..

وهذا ما تلاحظه كل يـوم فـى الشـارع.. فالسـائق الـذى إلـى جوارك يكسر عليك.. والذى وراءك لا يكف عن إطلاق أصوات التنبيه.. والذى يريد أن يسبقك بلا مبرر.. والـذى يتلـوى أمـامك دون أن يصيبك بسوء.. كل هؤلاء يطبقون مبادئ المرور، ولكـن ليـس عندهـم ذوق ولا أدب.. ولابـد أنهـم فـى حيـاتهم الخاصـة والعامة كذلك..

ولذلك كانت هناك شعارات: بأن القيادة ذوق.. فلـو حـاولت أن تعرف ماذا حدث بالضبط فى مصر فـى نظـم التعليـم.. إنـه لا يختلف كثيراً عن نظام المرور وأدب المرور. فنحن ننظـم التعليـم

ولكن لا ننظم التربية، فعندنا تعليم وليس عندنا تربية. وما دمنا قد اخترنا التعليم للجميع. فلا بد من الزحام ولابد من إتساع الهوة بين المدرس والتلميذ.. بين الأستاذ والطالب.. أو بين العلم والتطبيق –وهذا واضح فى الكليات حول تشريح راس حمار أو جمجمة إنسان غلبان. أكثر الطلبة لا يسمعون ولا يرون والذين يرون لا يفهمون.. والنتيجة: لا علم عند أحد.. والزحام يخلق الضغط.. والضغط يخلق العنف والعنف يخلق التمرد والرغبة فى الهرب والهجرة..

بإختصار إذا كان التعليم فى المدرسة فالتربية فى البيت طبعاً الوضع النموذجى هو أن يكون التعليم والتربية فى المدرسة!!

وفى الدنيا الشيوعية سابقا والرأسمالية حالياً، لا يوجد هذا التكدس فى الجامعات، فليس هذا التكدس فى الجامعات، فليس من حق أى إنسان أن يدخل الجامعة إلا إذا كان متفوقا. فالأغلبية المتفوقة فى الدنيا كلها هى التى يجب أن تنفق عليها الدولة.. أما هذا الذى عندنا فى مصر فلا هو تعلم ولا هو تربية..

ولذلك فالجامعات هى طواحين الأمية.. ومصنع أنصاف المثقفين ومعظم الفاشلين!! والساخطين على إرتباك التعليم وإنعدام التربية فى مصر.

الدروس الخصوصية : علاوة!(١)

لا يصح أن يقول أحد أنا ضد الدروس الخصوصية في المدراس أو في الجامعات لإن الطالب في أي موقع غير قادر على أن يحصل شيئاً من العلم. الفصول أتوبيسات، الواقفون فيها أكثر من الجالسين. والمدرسون كمسارية ليس لهم في إمكانهم أن يلاحقوا التلاميذ.. والجامعات أيضاً: قاعاتها تضم الألوف والمعامل لا تكفي، وقاعات التشريح لا تفي، وكثير من طلبة الطب لم يروا جثة بشرية في "مشرحة الكلية".. وإنما رأوها في بيوتهم عندما يجيء إليهم الأستاذ ويشرح ما فاتهم في الكلية.. ويخرج من حقيبته العظام والجماجم البشرية..

فالمدرس لا يستطيع أن يكون مدرساً، ولا أن يكون صديقا أو مرشدا أو أباً. أي أن المدرسة أو الكلية، لم تعد مكانا للعلم.

وإنما مكان للتجمع. ومظاهرة يومية للضيق بالدراسة والقرف من المستقبل واليأس من العلاج..

ثم إن المدرس نفسه من هو؟ وما مرتبه؟ كيف يكون زوجاً وأباً.. بل كيف يكون مثقفاً باحثاً؟ من أين يشترى الكتب؟ وإذا وجد المال فأين هو الوقت، وإذا وجد الوقت لتلامذته؟ فكيف حال زوجته وأولاده؟ ثم ما معنى أن ينفق أمواله القليلة على الكتب الكثيرة؟ لا شيء يساوى هذا العناء. إذن يجب أن يشق طريقه إلى جيوب الطلبة..

إن الدروس الخصوصية هى مناسبة لتعديل مرتب المدرس.. إن ما يتقاضاه عن الدروس الخصوصية، هو ما يستحقه من الدولة.. ولكنه يفضل أن يقبضه بالعرق والمرض من أولياء الأمور..

فالدروس الخصوصية ليست المشكلة، وإنما هى محاولة لحل كثير من المشاكل، ولا أحد يستطيع أن يوقفها. الدولة لا تستطيع.. وأولياء الأمور لا يريدون. والمدرس لا يسعى إلى الطلبة، وإنما هم الذين يلاحقونه -لقد سمعت أخيراً أن المدرسين "محجوزون" الآن حتى نهاية العام؟

والشيء الوحيد المؤكد هو: هبوط مستوى المعلمين والمتعلمين!!

الدروس الخصوصية: علاوة!(٢)

المدرسون المصريون فى الخارج فى حاجة إلى عناية أكثر وفى حاجة إلى أن نربطهم بمصر، وإلى أن يخضعوا لمعاهدات ثقافية نرفع قدرتهم فى عيون الشعوب الشقيقة التى يعملون بها ومما يعذب المدرس المصرى تلك المقارنات المستمرة بينه وبين زملائه من أبناء البلد الذى يعمل فيه وبين مواطنيه المصريين الذين يعملون فى بلاد أخرى.. وهو عندما يقوم بهذه المقارنات لا يدرك بوضوح ظروف كل شعب، إنه ينسى ذلك ولا يذكر إلا أنه كان مظلوما وخرج ينشد العدل، فأصابه ظلم جديد -منتهى المبالغة فى تشخيص حالته المادية والإجتماعية.

فقد تلقيت رسالة من السيد راجح (مدرس أول بمديرية التربية والتعليم بالشرقية). يصف فيها حال المدرس المصرى، أنه لا يجد السكن بسهولة فى الخرطوم، فإذا وجدت السكن فإن الدولة هى

التى تقدر قيمة الإيجار، وهذا التقدير لا يلزم صاحب البيت، وكثيرا ما كان التقدير الحكومى دون تقدير صاحب البيت، والدولة تدفع نصيبها من الإيجار بحد أقصى ١٤ جنيهاً، وهو قليل جداً -كما يقول.

ويرى أن هناك تفاوتا فى مرتبات المدرسين، فمرتب مدرس اللغة الفرنسية والتربية الرياضية والموسيقى مختلف عن مرتب مدرس المواد الأخرى، ومرتب المدرس السودانى مختلف عن مرتب المدرس المصرى، والمدرس الأجنبى أحسن حالاً من الاثنين، فلماذا لا يعتبرون المدرس المصرى أجنبياً؟

وهناك مشاكل أو ملاحظات أخرى يرويها أيضاً، والمعنى واحد: أن المدرس المصرى، رغم مزاياه، لا يلقى نفس التقدير الذى يستحقه، ولذلك فالمدرس المصرى دائم الشكوى، أو كثير الشكوى..

وقد تلقيت رسالة أخرى من الكويت وثالثة من السعودية ورابعة من أبو ظبى وهى ذات خط واحد: أننا نريد أن نكون على صلة ببلادنا، ونريد أن نعرف كل ما يصدر خاصة بالإعارة وعن

الإعارة وإلغائها، لأن هذا يقتضي المدرس أن يؤهل نفسه لذلك، فلديه منقولات ولديه أطفال ولديه أموال، ولابد من أن يتخذ قراراته في ذلك بسرعة حتى لا يرتبك، ثم أن المعنى الذى يتكرر فى كل الرسائل هو أن السفارة المصرية بعيدة عن العين وعن الأذن وعن اليد، وأن أحدا لا يفهم فيها شيئا، ثم إنها لا تستطيع لأحد أى شيء.. الخ..

وقد ردت الحكومة على هذه الشكاوى جميعاً بأن قررت تعيين ملحقين تربويين لخدمة المدرسين، وليكون هذا الملحق هو الذى يتولى شكاواهم وقضاياهم.. ويكون فى نفس الوقت هو ذلك "العمود المعدنى" الذى يوضع فى مقدمة الطائرات وفى أعالى البيوت لحمايتها من الصواعق.. من ألسنة المدرسين!!

الدروس الخصوصية:علاوة!(٣)

مرة رابعة عن إنشغال أمريكا أكبر وأغنى وأعظم دولة فى العالم، بمستقبل أجيالها -أى بالتربية والتعليم- فقد بدأت بعض المدارس فوراً بملء النواقص فى برامجها، فأدخلت الكومبيوتر فى المدارس الإبتدائية، فليس أحد من الناس لا يملك ساعة بها حاسب إلكترونى. ولا عداد. ولا تليفون ولا تليفزيون..

ولا ويجد مكان يدخله الطفل ليشترى أو ليلعب ليس به حاسب إلكترونى. وأدخلت المدارس أيضاً تعلم الكتابة على الآلة أيضاً، وأدخلت إصلاح الأدوات الكهربية فى البيت وفى السيارة..

وضاعفت المدارس فى السنة الماضية عدد حصص اللغة الإنجليزية. وأدخلت نظام طابور الصباح يتحدث فيها المدرس أو ناظر المدرسة فى أية قضية عامة -اشترطت أن تكون الوقفة

عسكرية- أى أن يكون التلاميذ فى طابور فى إنضباط. وفى صمت، وأن تتوزع عليهم مسئوليات النظافة العامة فى المدرسة، وشكاوى التلاميذ والمدرسين وجميع الموظفين بالمدرسة والعمل على إبلاغها أو حلها..

أما بعض الجامعات الأمريكية -وكلها أهلية تنفق عليها الشركات مع بعض الإعانات الحكومية ومعاهد الأبحاث- فقد أعادت النظر فى برامج التعليم. أفسحت المجال كاملاً أمام النابهين من الباحثين ورصدت لهم مالاً مضاعفاً. ووضعت فى خططها للمستقبل ميزانيات لمتابعة الأبحاث وعدلت أجور ومرتبات جميع العاملين.

ووفرت طبع الكتب والأبحاث ليتداولها الجميع. وأعدت هيئة للترجمة من اللغات الأخرى.

وتقول التحاليل لهذه التعديلات الهامة أن آمالاً واسعة يمكن أن تتحقق فى سنوات معدودة.

فإن كان أحدا جاداً فى تعديل التربية وإصلاح التعليم فلا بد أن يبدأ أو أن نبدأ فوراً وان نستشعر الهم والآسى لنكون جادين فى كل ذلك!!

الدروس الخصوصية: علاوة!(٤)

تكهرب الجو فى العالم كله عندما أطلقت روسيا أو قمر حول الأرض وأول كلبة وأول إنسان فى الخمسينيات وأحست أمريكا رغم إمكانياتها الجبارة وحرياتها المطلقة، أن الديمقراطية قد تخلفت عن الشيوعية.. وانطلقت أمريكا إلى الفضاء ثم إلى الكواكب الأخرى وسبقت روسيا، ولكن فجرت مشكلتهما العملية والتعليمية والإجتماعية. كيف سبقتها روسيا؟

لا بد أن هناك خطأ فى التعليم.. ثم نظرت أمريكا إلى اليابان فوجدتها غمرت كل الأسواق بكل صناعاتها القائمة على نظريات أمريكية.. ثم فوجئت أمريكا بأن ألمانيا قد تحقق فيها كل شيء: النظرية والتطبيق والتفوق والرفاهية!!

وعكف العلماء فى أمريكا وبريطانيا واليابان على مراجعة برامج التعليم كلها.. وانعقدت لجنة أمريكية بصفة مستمرة حتى

نهاية هذا القرن. إذن البداية هى التعليم.. والإصلاح يبدأ بالمدرس نفسه!

وفى البيان الذى ألقاه الرئيس حسنى مبارك على مجلسى الشعب والشورى وفى رد مجلس الشورى عليه تأكدت خطورة الأزمة التى يمر بها التعليم فى مصر وأثر ذلك على المدرسة والتلميذ..

وفى رد مجلس الشورى على بيان الرئيس مبارك تأكد أن المعلم هو الأساس.. "ولم تتيسر أمامه السبل فى غمار الإمكانات الإقتصادية المحدودة. فلم ينل القدر الكافى من الإعداد الجيد والتدريب المستمر، كما قصرت هذه الإمكانات عن الوفاء بما يشجعه من رعاية إجتماعية وتقدير مادى. وقد انعكس كل ذلك على مستوى الأداء".

وقد دعا الرئيس مبارك فى بيانه إلى التعاون مع وزارة التربية والتعليم للنهوض بالتعليم فى مصر.. وقد استجابت لجنة الخدمات بإعداد دراسة شاملة عن مشاكله وحالته الراهنة ومستقبله وتطويره وتحديثه - ولجنة الخدمات ورئيسها د.

محمود محفـوظ، هـى أنشـط لجـان مجلـس الشـورى وصاحبـة أشمل وأعمق التقارير التى نشرت ولم تطبع طباعة جيدة، وليست هى فى متناول الباحثين والمثقفين؟!

ولا تزال (التربية) أخطر من التعليم نفسه.. فما أكثر المتعلميـن والباحثين والعلماء وما أقل التمسك بالقيم الأخلاقيـة.. ومـا أقـل الشـعور بـالواجب.. فـالواجب هـو الهـدف الأسـمى.. فقبـل أن ننهـض بـالعلم، يجـب أن نوقـظ الضمـير -وهــى مهمــة البيــت والشارع والمدرسة والمكتب!!

الدروس الخصوصية: علاوة!(٥)

على باشا مبارك هو على بن مبارك بن مبارك بن سليمان بن إبراهيم الروجى، وقد عرفت الأسرة التنقل من قرية إلى قرية وعرف أبوه بالتنقل من مسجد إلى مسجد إماماً وخطيباً وقاضياً.. وكانت الأسرة تحتكر هذه الحرفة وحرفة الموازين والمكاييل.. وكانت الضرائب قد كسرت ظهورهم. فباع الأب أرضه وبيته - ولم يكن على مبارك الأبن الوحيد فى هذه الأسرة وإنما له سبع بنات شقيقات وأخوة غير أشقاء كثيرون..

وتعذب على مبارك بإنتقاله من كتاب -بتشديد التاء- إلى كتاب. ومشايخ الكتاتيب يسقطون من ماء واحد، اللسان طويل والعصا أطول. والطفل لا يريد هذا النوع من التعليم. ولكن هذه هى الحرفة التى احتكرتها الأسرة، أما أن يكون مهندساً أو طبيباً، فليس هذا مستقبله.

أما تلــك الحـوارات التـى دارت بيـن الأب والطفـل، فأعرفهـا تماماً.. والرفض أن يكون أزهريا فأعرفها ولا أنساها أبداً.. فــأمى لا تريدنى أن أكون -مثل كثير من أقاربها- شـيخا فـى الأزهـر أو شيخاً من الأزهر!!

وبدأت نهضة مصر وصاحب الفضل الأول فى ذلك هو محمد على باشا الكبير الذى كان يؤمن بالتعليم وهو رجل أمــى. ويؤمـن بالإرتباط بالحضارة الغربية، وإنه لا أمل فى أن تكـون مصـر دولـة متطورة إلا إذا تعلم أبناؤها. وقـد أوفـد البعثـات إلـى فرنسـا. فـى البعثة الأولى ١٨٢٦ كان رفاعة الطهطاوى.. ولم يكن مطلوبا أن يتعلم رفاعة الطهطاوى لقد ذهب إماماً لطلبة البعثات.. فكان هــو الذى تعلم وتفوق وجاء يعلم مصر.. وفى البعثة الثانيـة كـان علـى باشا مبارك فى سنة ١٨٤٤..

وكان فى البعثة اثنان من أولاد محمد على هما: حسين وحليم واثنان من أحفاده هما أحمد وإسـماعيل -الخديـو إسـماعيل بعـد ذلك- كانوا يسمون البعثة (بعثة الأنجال).

وكان على باشا مبارك أكثرهم نباهة وعلماً وإستيعاباً للحضارة الفرنسية فى الحرب والقتال والزراعة والهندسة.. وكان يبعث بنصف راتبه إلى إخوته -١٢٥ قرشا كل شهر!!

الدروس الخصوصية: علاوة! (٦)

لم يترك الريف فقط أثرا عميقا على عادات وتقاليد على باشا مبارك وسلوكياته ولكن الأثر الذى لم تفلح الأيام فى محوه أبدا كان فى أعماقه..

فهو فقير بن فقير.. وقد تحدد مستقبله منذ ولادته ويجب ألا يخرج عنه.. تماماً كأنه سمكة فى ماء.. أو قطار على شريط.. وفى نفس الوقت ولد التمرد فى أعماقه على كل ذلك.. على والده فى أدب، وعلى مشايخ الكتاتيب فى عناد، وعلى القسوة فى العسكرية وعلى الشعور الذى يتأكد كل يوم من أنه فلاح ابن شيخ ابن شيخ ويجب أن يبقى كذلك حتى الموت.. دخل الجهادية وهرب، ودخل المهندسخانة وخرج متفوقاً، وهو يريد طول الوقت أن ينفد بجلده.. وأن تنفد مصر كلها وراءه..

وكان يحلم بأن يكون مدرسا لشعب مصر وأن ينقل إليهم كل ما رأى وسمع وتعلم..

وكتب مذكراته.. وكتب وصف مدن وقرى مصر.. وكان أول وأخر مصرى يفعل ذلك فى كتابه (الخطط).. وقد أيقن دائما أن البداية دائماً هى المدرسة.. ولا أمل فى إنقاذ مصر من ظلمها وظلامها إلا بالتعليم.. بتحرير الرجل من الجهل وتحرير المرأة من قيود الرجل.. وكان رجلا متديناً، ولكن الدين ليس ضد التعليم بل إنه يدعوا إلى العلم والتأمل.. والمؤمن المتعلم أفضل من المؤمن الجاهل. بل إن الجهل هو الشر وهو الفقر وهو الإنحطاط.. وهو لا ينسى ما حدث له فى كتاتيب الريف.

ولا ينسى أيضا أن محمد على باشا عندما علم أنه هناك تفرقة صارخة بين طلاب البعثات فى باريس فى الأكل والشرب واللبس بين طلبة الأمراء وأولاد البكوات وأولاد الفلاحين.. قرر إلغاء الإمتيازات والتفرقة من أى نوع بين جميع الطلبة من كل طبقة.. فهذه المساواة هى بداية الحرية.

ويوم رأى كاتباً حبشياً أسود فى أحد مراكز البوليس يفضلونه على المصريين، اندهش، فقد كان يؤمن بأن هذه المراكز للبيض من الأتراك والمماليك. ولم يسترح حتى عرف. وكانت نقطة تحول فى حياته. هذا الرجل الحبشى اسمه عنبر أفندى.

وهو فى هذا المكان الرفيع لإنه متعلم.. فقط متعلم فلا تفوق إلا عن طريق التعليم. والمتعلم حر فى أن يشغل أى عمل.. أما الجهلاء فهم مربوطون بالأرض.. وعرف على مبارك سر الحياة والتقدم: إنه العلم.. فى القاهرة أو فى باريس، وهى حقيقة بسيطة جدا ولكن دفع ثمنها غالياً -حتى الموت!!

الدروس الخصوصية: علاوة! (٧)

مرة ثالثة إن كنا جادين فى إصلاح التربية والتعليم فى مصر. فإن الهيئات العلمية والتربوية فى أمريكا مشغولة فى صناعة وفبركة المواطن الصالح . وعلى الرغم من كثرة الإجتهادات فإن هناك إتفاقاً كاملا على عدد من القضايا: تفاهة الطالب وضعف مستوى المدرس وجمود البرامج، ونقص المواد الحديثة، وضعف مستوى اللغة الإنجليزية. عندهم - والعربية عندنا أيضاً.

وهناك رأى يقول بأن نبدأ بالمدرس فقد انشغلوا بالتلميذ والأب والأم ورئيس الجمهورية وشركات الإعلانات وإستفتاء التليفزيون للناس عن الرجل الحقيقى المسئول عن كل شىء. إنه المدرس. فالمدرس قد كان هو الآخر تلميذاً.. هذا المدرس ضعيف المستوى ولا شىء يشجعه على أن يكون أفضل. فمرتبه صغير، والحياة غالية.

والطلبة أنفسهم لا يشجعون على أن يقدم لهم جديداً، ثم إن أحداً من الهيئات لا تطلب من المدرس أن يعطف على الدراسات العليا.

فالدراسات العليا لا يقبل عليها الكثيرون. فالدولة لا تنفق الكثير على المعامل والأبحاث كما تفعل ألمانيا وبريطانيا واليابان وفرنسا..

ولا تزال ألمانيا هى كعبة العلماء والعباقرة ولا تزال اليابان هى أعظم مخبأ سرى لكل المواهب الفذة فى العلوم والفنون..

وعلماء اليابان خمسة أمثال علماء أمريكا، وضعف علماء ألمانيا.

وتطور الأدوات والأجهزة فى اليابان لا تستطيع أن تجاريه أى دولة فى العالم..

سئل أحد المدرسين تفسيراً فقال: لا شىء .. إن الطلبة لا يسمعون ما أقول، والجامعة لا تقرأ ما أكتب، والحكومة غارقة فى مشاكل الدنيا كلها، إلا مشاكلها!!

وفى الإنتخابات الأمريكية رشح أحد المدرسين نفسه وأمسك عصا فى يده وقال: إن كان أحدا جاداً فى إصلاح هذه البلاد فلا بد من العصا.

وانصرف الناس. وكان هو على حق بشرط أن تكون هذه العصا فى يد المدرس وليس الطالب!!

فى البيت مستقبل الأجيال

إذا كنا جادين حقا فى إصلاح التربية والتعليم فى مصر، وأعتقد أن بعضنا جاد، فلنتابع ما تنشره المجلات الأمريكية عن ضرورة ذلك، فمنذ أن أصدر الرئيس الأمريكى ريجان التقرير الذى عنوانه "أمة فى خطر" لم تتوقف المجلات والهيئات عن مراجعة ومناقشة ذلك التقرير والإضافة إليه.

وقد قرأت إستفتاء بين أولياء الأمور عن الذى ينشدونه إصلاحاً لتعليم أولادهم وتربيتهم فى المدرسة والجامعة..

الآباء يطالبون المدارس بأن تعلم أولادهم القراءة والكتابة. فقد اكتشف الآباء أن أولادهم لا يعرفون اللغة الإنجليزية ولا يحسنونها قراءة وكتابة!!

وشكا الآباء من أن أولادهم لا يقرأون شيئا آخر غير المواد المقررة. حتى هذه المواد يقرأونها بقرف.

ولاحظ خبراء التربية أن شـيئا مفزعـاً قـد طـرأ علـى المجتمـع الأمريكى بعد حـرب فيتنـام التـى شـارك فيهـا الأمريكـان بمئـات الألـوف وهـرب مـن خدمتهـا العسـكرية ألـوف الشـبان، وهـذه الحربُ قد جعلت أمريكا تقف أمام حرب ضد فيتنام وحرب ضد الشباب الأمريكى الذى تمرد على سلطة الدولة وسـلطة المدرسة والكنيسة والأبوين.. فهناك -إذن- سخط عام..

أما أخطر ما أسفر عنه آخـر إستقراء لـلرأى العـام فـى أمريكـا اشترك فيه نصف مليون أب وأم فهو أن شيئا واحـداً يهـدد التربيـة والتعليـم فـى أمريكـا هـو: إنعـدام الضبـط والربـط فـى المدرسـة والجامعة. أى لا احترام للقواعد والأصول والقانون. أى لا احترام لمن هو أكبر..

أما المدرسون فقالوا: إن هذا يرجع إلى البيـت. والآبـاء قـالوا: بل إلى الكنيسة ورجال الدين قالوا: بل هى المدرسة!

ولكـن أغلـب الأصـوات تقـول: بـل إلـى البيـت، والأبنـاء يتساءلون: فعلاً يرجـع إلـى البيـت الـذى لـم نعـد نجـد فيـه الأب والأم، إنهما يعملان ولا يلتقيان.

ولذلك عادت كثير من الأمهات إلى البيت ففى البيت يولد
ويتعلم مستقبل الأجيال..

مبارك والطهطاوى

فى ذلك الوقت كانت المشاعل وحملة المشاعل يدورون فى مصر ويقلبون أرضها وسماءها ويثيرون الناس على أنفسهم:

رفاعة الطهطاوى (١٨٠١-١٨٧٣)، على مبارك (١٨٣٣-١٨٩٣)، والأفغانى (١٨٧٣-١٨٩٧)، ومحمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥)، والكواكبى (١٨٥٤-١٩٠٢)، وقاسم أمين (١٨٦٣-١٩٠٢).

والطهطاوى أمتعنا بما كتبه عن باريس، خصوصاً كتابه البديع "تخليص الإبريز فى تلخيص باريز" ثم إنه كتب تاريخ العالم وترجم القوانين الفرنسية.

وأما على باشا مبارك فقد حرم من الحوار مع أى من أسرته أو مشايخ الكتاب أو المدرسين العسكريين.. فقد كان طفلاً يقلب وجه الأرض بعينيه ولا يستطيع أن يرفع رأسه وإلا نزلت عليه

العصا، فجعل أسلوبه فى التعليم هو الحوار. ولذلك كان كتابه (المسامرات) -١٢٥ مسامرة على شكل حوار. أما بطل هذه المسامرات فاسمه علم الدين.. وتحدث عن كل ما رأى ونقل إلينا كل ما تعلمه وما درسه وناقشه فى أوروبا..

وفى هذه المسامرات التى لم تكتمل، يتحدث عن الأرض والسماء والماء والزراعة والصناعة وعن طبائع المصريين والأوروبيين. وفى هذه المحاورات يظهر لنا على مبارك باشا على حقيقته.. فهو فلاح تعلم ويريد أن يتعلم كل الفقراء والفلاحين وأن ينقلهم من ظلام الفقر والقهر إلى نور المدينة والمدنية، وفى أعماق على باشا مبارك أنه هو الذى يستطيع أن يفعل ذلك.. وفى نفس الوقت يجب أن يتيح الفرص لكل الناس..

وقد أدى به التفوق والحماس والصدق إلى أن يتعرض لكثير من المكائد. مكائد الحاقدين على عمله وعمله .. وأن يوقعوا بينه وبين الخديو.. بل إنهم اتهموه بأنه هو الذى شجع الخديو على هدم ما بناه رفاعة الطهطاوى.. لقد أعطوه قدرة فائقة على التسلط على السلطان، خصماً من مبادئه الأخلاقية!!

فلا كانت لـه هـذه القـدرة، ولا كـان السـلطان ضعيفـاً بهـذه الصـورة. ولكـن الذيـن أرادوا أن يجعلـوا جريمتـه كبـيرة فادحـة أعطوه ما سلبوه من الخديو ليبدو أمام التاريخ هو ا لمجـرم الأول منتهى الظلم.وطبيعى جداً أن يلقى الرواد مثل هذه العقوبة!!

وأعرض لك نوعان من المسامرات بينه وبين زوجته. قـال لهـا يصف جمال الريف وأهل الريف، وفى كلامه بعض السجع الـذى لا يحبـه، ولكـن الـذى أعـاد كتابـة المسـامرات قـد أدخلـه مـن عندياته:

قال لها: لو علمت حال أهل الأرياف وما هم عليه من الظلـم والإجحاف، لما رغبـت فيـه ولا رضيـت بـه، فـإنهم لا يرحمـون فقيراً، ولا يوقرون كبيراً، ولا يفهمون فتيلاً، ولا يهتـدون بديـلاً.. فقهاؤهم دائما تحت رأيهم وأمرهم، وإن وصلا إليهـم شـىء مـن الدنيا فإنما يكون بالإلحاح وإراقة ماء الحيـاء، فهـل يرضـى بهـذه الحالة والإقامة مع أهل الجهالة من كان ذا فضل وعفة؟ فإن إراقـة ماء الوجه لا يرضى بها إلا جـاهل وكيـف أعلـم ومـع ذلـك أقـع

فيه؟! وكل ما اكتسبته منهم لا يقوم مقام بعض ما يضيع بالإقامة معهم، لإن العلم يزيد بالممارسة ، وينقص بعدمها.

فمع من تكون الممارسة هناك.. ولا يوجد بقرى الأرياف إلا صاحب أرض فلا يتكلم إلا فى حرها وبذرها وحصدها، أو نجار فلا يتكلم إلى فى أنواع الأخشاب وما يصلح منها للسواقى وللسقوف والأبواب، وهكذا دأبهم من أول السنة إلا آخرها فلا يقيم معهم إلا من كان مثلهم، فإن أقام عندهم عالم ضاع علمه، وتبدلت صفاته المحمودة بإنحدارها لأن الطبع يسرى.

وترد عليه زوجته واسمها تقية فتقول: أما ما ذكرته من سوء حال أهل الريف فهو حجة لى عليك، فإن هذا إن كان كذلك فإنما هو من شدة جهلهم، فهم إذن أحوج إلى مثلك أن تقيم بينهم فتقوم بتعليمهم وتفهيمهم ما يجوز وما لا يجوز. وأما قولك إن من يكون عندهم يضيع علمه فحسبك فى هذا قوله تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله..﴾.وقد علما من حال رسول (ﷺ) وغيره من الأنبياء والمرسلين كيف أقاموا بين قومهم من الكفار

والمشركين والضالين يدعونهم إلى الحق ويرشدونهم إلى الهدى.. إلخ..

على هذا النحو من الحوار العقلى والعقلانى يعرض على باشا مبارك كل ما لديه من معلومات فى فروع المعرفة بالحوار الإحترام وبلا عصا!!

من الأشياء التى بهرت رفاعة الطهطاوى عندما ذهب إلى مارسليا، أنه وجد الفرنسيون يأكلون على طبلية مرتفعة يقصد ترابيزة وأن كل واحد منهم له طبق خاص وكوب خاص وأنهم لا يأكلون من طبق واحد ولا يشربون من كوب واحد.

وأما الذى أذهله جداً جداً فهو أنهم يستخدمون فى رش الميادين عربة رش ولا يستخدمون الجرادل فى رش الميادين ولم يكد يرى عربة الرش هذه حتى توضأ وصلى وطلب من الله سبحانه وتعالى أن يفيض للكنانة مثل هذا الإختراع اللطيف..

ورفاعة الطهطاوى وعلى باشا مبارك قد سحرتهما المقاهى وأهم ما فى المقاهى المرايا الكثيرة فوضع رفاعة يده إلى جوار المرآة فكان لها حجمها الطبيعى على عكس المرايا فى مصر

المحدبة والمقعرة وهو أيضاً قد لاحظ أن المرايا تعطى للمقهى مساحة كبيرة وتجعل من يراه يخيل إليه أنه ميدان كبير جداً به ألوف الناس يقول على باشا مبارك فى "المسامرة الثلاثون" ولكثرة المرايا وتقابل بعضها ببعض كانت صور الجالسين والخارجين والداخلين تنعكس فيها وتتضاعف مراراً فكان مما هو عليه يلذ الناظر ويسر الخاطر..

وكان رفاعة الطهطاوى يتأمل المرأة الفرنسية وسلوكها وملابسها وقد وصف لنا ملابسها بالتفصيل الشديد ولاحظ أنها تضع أعواداً من الحديد لتشد صدرها أما على باشا مبارك فكان يستحيى أن يفعل ذلك وكان مشغولاً بسلوكيات الناس إحترامهم للقانون وإيمانهم بالنظافة أكثر منا مع أن ديننا يدعونا إلى النظافة..

وكان رفاعة الطهطاوى يقول رأيه هو وخلاصة فكره هو قاطع فى الرفض وفى القبول ولكن على باشا مبارك قد اختار الحوار أسلوباً فى الفكر فهو يعرض الرأى وعكسه ويؤيد هذا ويدافع عن ذاك كأنه محام يترافع عن قضية ورأى من العدل أيضاً أن ينشر

وجهة نظر الخصوم وبذلك يتحقق العدل والإنصاف ثم يكون له رأى فى النهاية إنها متعة بريئة غامرة..

فى المسامرة الثالثة والتسعين نجد حواراً لا يصح السكوت عنه، ولكن علي باشا مبارك سكت.

ففى باريس التقى بأحد الفرنسيين يتحدث عن فضل الإحتلال الفرنسى على مصر فهو قد خلصنا من المماليك الذين أفسدوا كل حياتنا وأفكارنا واستغلوا كل الناس وكل شيء لحسابهم.. أما الفرنسيين فقد نظموا مصر ونظفوها وصححوا علوم وفنون إدارتها وفرضوا على الناس أن يعلقوا القناديل ليلاً على أبوابها. وإلا فالعقوبة شديدة.. ثم إنهم شقوا الترع وأقاموا المستشفيات.. ولو بقى الفرنسيون حتى أيام على باشا مبارك لكانت مصر أحسن حالاً.

ثم يقول الرجل الفرنسى مهاجما المصريين والشرقيين عموما: إنهم يقتصرون على حفظ القرآن ومعرفة بعض الأمور ويقفون عندها ولا يتعدون حدودها ولا يغوصون فى معانى الكتب وأسرارها. أما المماليك فهم مشغولون بتحلية سروج الخيول

والإنكباب على الملاهى طوال الليل ولبس السراويل الواسعة الذيل.. وهم يقتصرون على التفكير فى الوعد والوعيد والترهيب ثم إنهم ينادون بالزهد فى الدنيا..

ولم يشأ أن يرد على باشا مبارك على الخواجة الفرنساوى فى وجهه. وإنما قال فى غيابه: إن الفرنسيين استخدموا المدافع والقنبر (القنابل) وضربوا الناس وحبسوهم وأماتوهم ودخلوا الأزهر بالخيول وضربوه بالقنابل وحطموا البيوت والقناديل ونهبوا البيوت والقصور وهدموا الأضرحة والأحياء الشعبية وفرضوا على الناس الضرائب العامة حتى هرب الناس أو ماتوا فى السجون..

ويقول: وتلك الأيام نداولها بين الناس، وتلك سنة الله فى خلقه، فكم سلط أقواماً على آخرين، سلط الفجار على الأبرار.. وله فى ذلك حكم وأسرار.

ولما سئل على باشا مبارك ولماذا لم تقل كل هذا للخواجة؟ كان رده أنه فى باريس وأنه يجب أن يراعى ذلك، ثم ردد قول ما قاله الشاعر: ودارهم ما دمت فى دارهم

وحيهم فى ما دمت فى حيهم

ومع ذلك فقد قال لنا طويلاً وكثيراً.

قاله لنا.. وللتاريخ أيضاً.!!

طعـــام للحصـــان ..

كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحيما حكيماً. فكان يكره القسوة على الحيوان أيضاً. وكان يأمر بألا يكون اللجام خانقاً للحصان. وألا يضرب بعصا، تكون في أسفلها كرة من الحديد...

وقد فوجيء عمر بن عبد العزيز يوما بأن سلة من الرطب قد جاءته من الشام فسأل: كيف جاءت؟ قالوا: على ظهر الحصان الذى ينقل البريد -أى حصان الحكومة.

فرفض أن يأكل الرطب وأمر ببيع الرطب وأن يشترى بثمنه علفاً للحصان. وفوجيء عمر بن عبد العزيز بعودة سلة البلح إليه فقد اشتراها أحد أبنائه ثم بعث بها إلى والده فقال: الآن أستطيع أن أكل..!!

وفى يوم علم عمر بن عبد العزيز أن المصريين يضعون أحمالاً تزيد عن ألف رطل على ظهور الخيول والجمال. فبعث إلى الوالى العربى على مصر ألا تزيد الأحمال عن ستمائة رطل!

ولم يحدث ذلك فى أى بلد عربى -المصريون فقط هم الذين يضعون الأحمال الثقيلة التى تنوء بها الدواب!!

وهو ما نفعله حتى الآن فى المصاعد والأتوبيسات ففى المصعد مكتوب بوضوح الحمولة لا تزيد على خمسة أو عشرة أشخاص.. ونكون نحن أضعاف هذا العدد. وكلنا يعرف القراءة. ثم نشكو من أعطال المصاعد فى البيوت والمؤسسات. والسبب: إنعدام الصيانة -ونحن غير قادرين على صيانة المصاعد، لإننا نرهقها بالإستخدام السيئ.. تماماً كما نرهق الخيول فى عربات الكارو والحنطور..

ونحن أيضاً لا نعرف كيف نعمل.. فمن المؤكد أننا نتردد على أماكن العمل بإنتظام ولكن ليس من الضرورى أن نعمل، وإنما نحن نوجد ونحرص على ذلك.

ولكن ساعات الإنتـاج قليلـة، ولأننـا لا نعـرف كيـف نعمـل، فنحن أيضاً لا نعرف كيف نستريح.

فالمصاعد كالخيول لها قدرة ولها عمر.. ولذلك "تشيخ" قبل الأوان بسبب هذه اللامبالاة والجهـل وغريـزة التدمـير والتخريـب وقتل الحياة.. فلم نتغير كثيراً منذ أيام عمر بن عبد العزيـز، رضـى الله عنه!!

(بوســـة) مقرفـــة !!

أسخف ما نشاهده كل يوم: رجل يبوس رجلاً.. وأسخف من ذلك أن تكون أحد الرجلين!

ما المعنى؟ لا معنى من أى نوع لأن ترى صديقا أو زميلاً كل يوم فتبوسه.. ماذا جرى من أمس حتى اليوم، فلا يكاد تراه حتى تحضنه وتبوسه. لم يحدث أى شيء. ولكن اعتدنا على هذه السخافة. لدرجة أنك إذا لم تفعل ذلك، أحس المعنى عليه أنك زعلان منه.. أو أن العلاقة بينكما قد فترت..

وبعض الناس يبوسونك ثلاث مرات.. يمينا وشمالا ويميناً.. وكان المرحوم عبد الحليم حافظ قد طلعت فى دماغه أن يبوسك على الخدين وفى فمك.. وتضايقنا منه حتى تاب عن ذلك تماماً. ولم يكن عبد الحليم حافظ هو الذى اخترع هذا النوع من القبلات.. وإنما اخترعها الروس.. وانتشرت!!

ليس مألوفاً عندنا تقبيل السيدات عمال على بطال!!

قال لى اللواء صالح الحديدى أن التعليمات صريحة للقوات المسلحة بتحريم التقبيل.. ومن النادر أن تجد رجلاً عسكرياً -إذا كان بالزى الرسمى- يقبل رجلا آخر. وقال لى أنه حدث أن ألتقى بالفريق العرابى ومعه أحد أبنائه. وكان هذا الإبن مرءوساً للواء الحديدى فعانقه وقبله، فقال له العرابى: هل نسيت أن هذا ممنوع؟! وفجأة وجدت اللواء الحديدى يقبل المستشار الجوسقى محافظ الإسكندرية؟!

ومعنى ذلك أن العادة السيئة ما زالت متسلطة على شفاة الجميع!! إنهم فى الغرب يكتفون بالانحناء أو خلع القبعة - لا قبلات ! وهم فى الهند يكفون بضم اليدين مع الانحناء .. ومن الممكن أن تحيى واحدا فقط أو مائة مليون بهذه الطريقة!

وفى البلاد العربية يقبلون الكتف أو الجبهة أو الأنف .. أو يكتفى الواحد باحتضانك حضنا خفيفا دون قبلات!

ولو سألت نفسك لماذا تقبل أحدا لوجدت انه لا يوجد سبب نفسى .. وإنما هى عادة سخيفة لا تجد الشجاعة فى أن تكف عنها !

يا راجل كفى كذبا على نفسك وعلى غيرك!

أخطـاء صغيرة خطيــرة !!

كنا نبحث فى أمـور بلدنـا .. وكـل الذيـن تعلمـوا فـى أوربـا وأمريكا من المهندسين والأطباء يروون لنا حكايات عن المتـاعب التى صادفتهم . وفى مقدمة هذه المتاعب .. أن هذه المؤسسـات التى عملـوا فيهـا ترفـض الخطـأ .. أى خطـأ ويرفضـون أى عـذر كانوا يتقدمون بـه بسـبب هـذا الخطـأ. كـان يقـول الواحـد: أنـه مريض أو أنه سهر أمس شويه .. وأن منظـاره يجـب أن يغيره أو أنه تلقى خطابا من يقول أن أباه وأمه وأختـه وكـل الذيـن لـه فـى الدنيا قد ماتوا. وهـذا العـذر لا يـبرر الخطـأ فـى بلـد واحـد. لأن الخطأ الصغير يؤدى إلى أكبر وأفدح!

قال لى أحد المهندسين انه ظل يرسم لوحة عشرين مرة. وفـى كل مرة يكتشف الكمبيوتر أن هناك خطـأ يقـرب مـن المليمـتر.

وكان رد المهندس المصرى: مش حاجة. قالها على سبيل الفكاهة. وكان الرفض قاطعا. وانتهى الكلام. وأنه إذا كان هذا هو أسلوبه فى العمل والحياة فلا مكان له فى أمريكا ولا فى ألمانيا ولا فى اليابان .. انتهى!

اذكر أن أستاذنا الكبير على أمين كان يصدر مجلة (هى). وكان رئيس التحرير، أما سكرتيرا التحرير فهما من باريس. وكان هدفهما أن يعلما السكرتارية الفنية المصرية ، كيف تكون مجلة (هى) صورة دقيقة وجميلة من مجلة (ال) الفرنسية. وكان الخلاف حادا بين المصريين والفرنسيين .. أما سبب الخلاف فهو ملليمتر أو اثنان .. فالسكرتيرة الفرنسية تضع إلى جوار أية صور مقاسا كهذا: طول سبعة سنتيمترات وثلاثة مليمترات ونصف الملليمتر وعرضها أربعة سنتيمترات وأربعة ملليمترات ونصف الملليمتر. هى عاوزه كده .. أصول الرسم كده .. وتصورها لشكل الصفحة كده! أما رد الفعل المصرى فهو هكذا: ياسلام .. يعنى جت على واحد ملليمتر .. خلاص يعنى .. والله دى كلها حركات!

فنحن لا نعرف المليمترات ولا حتى السنتيمترات .. وإنما كل شئ كده بالفهلوة .. ولذلك نتأخر وسوف نتأخر كثيرا. مادامت غلطة المليمتر لا تساوى عندنا غلطة المتر والكيلومترا

اصــح : يا مجــرم !!

لا يكفى أن نستنكر قطع الأشجار وأن نعتذر للأحياء منها والأموات، ولا أن نعلق السلاسل والأرقام من فروعها اعترافا منا بحقها في الحياة والحماية .. ولكن يجب أن تدرس هذه الظاهرة : لماذا نسكت شهرا ثم نعود إلى قطع الأشجار .. ثم نستنكر ذلك ونلعن من قطعها ومن أمر بذلك .. وبعد شهر نعود إلى قطعها ..فكأننا نفعل ذلك ليلعنا أحد . كأننا حريصون على ذلك . لماذا؟ هل لأننا لا نستطيع أن نعيش إلا على جثة أحد .. هل لأننا لا نستطيع أن نعيش دون أن يلعنا أحد .. ودون أن يكون لدينا شعور متجدد بالذنب..

فإن كان هذا بالضبط ما نريد اذا فعلاجنا ليس فى الصحف ولكن فى المستشفيات .. ولكن من الذى يعالج من؟ هل الذى

اصدر الأمر هو المريض؟ أم الذى يوالى قطع الأشجار هو المريض؟ لا أعرف.

ولكن الذى أعرفه وهو أن العلاج طويل وأكيد أيضا وهو أن نبدأ -بلاش كلمة (نبدأ) هذه لأنها تتكرر فى كل حديث وفى كل خطاب فلم يعد لهذه الكلمة أى معنى ولا أى خطر!

فليكن فى برامجنا التعليمية والتربوية والأخلاقية والدينية والجمالية أن نترك الحى يعيش: كما إننا يجب أن نعيش .. ونترك الأشجار والطيور والزهور .. نترك الأبواب اللامعة دون خدشها، نترك السيارات الواقفة دون تجريح ، لا نأخذ معنا مسامير لنقطع بها المقاعد التى استرحنا عليها فى السينما والمسارح - الحمد لله لم يظهر مسمارا واحد ولا موس حلاقة فى دار الأوبرا !

لقد أمضيت سهرة أمام التليفزيون الإنجليزى وهو يناقش قضية خطيرة طفل ذهب يوقظ أباه قائلا: يا مجرم وانزعج الأب ولكن الكتب المدرسية تقول له: أن من يقطع شجرة فهو مجرم. وأبوه يعمل فى قطع الأشجار لحساب أحد مصانع الخشب. والأب

يطلب النصيحة من هيئات التربية والتعليم والتليفزيون وملايين المشاهدين!

ما الذى يفعله الأب ؟ ما الذى يفعله المدرس بهذه الكتب؟

كيف يواجهون الطفل الذى يريدونه أن يصدق ما يقال له - ابتداء بأبيه وانتهاء بالمدرس والحاكم ورجل الدين؟!

أقــذر طريــق !!

تخصصت الجيزة فـى قطـع الأشـجار .. منـذ سنوات أراقـت دماء الأشـجار الضخمـة علـى شـاطئ النيـل .. وبعدهـا بسنوات أسالت دموع عالمة سويدية كبيرة عندمـا بدأ العبث والإهمـال العنيف فـى حدائـق الأورمـان - أحـد المتـاحف الحيـة للأشـجار النادرة .. ولا يزال العبث بها مستمر - انظر إلـى قـوات الأمـن المركزى ..

وفى العام الماضى سقطت أشجار نادرة فى كلية الزراعة رغـم أنف الأساتذة وعلى دماغ عميد الكليـة وألـوف الطلبـة - تكذيبا رسميا لكل ما جاء فى الكتب عن الحيـاة وحـب الحياة وحمايـة البيئة والذوق والجمال .. وبالأمس وقفـت باحثـة أمريكيـة تبكـى عندما رأتهم يقصفون عمر الأشجار ..وفى ترعة المنصورية ينهال التراب وعلب الصفيح فى اقذر كيلو متر فى مصر كلها - أى فـى

الطريق بين الهرم وأبو الهول .. وعلى مسافة نصف كيلو متر يوجد مصنع يصرف مياهه المالحة فى الأرض الزراعية لأنه يقوم بتجفيف المياه للحصول على ملح الطعام .. أما على النيل بين كوبرى عباس وكوبرى الجلاء فقد قامت الأندية لتشويه الشاطئ وحجب النيل عن كل من تسول له نفسه أن ينظر إليه ..

وفى الجيزة أحرقت الفنادق الجميلة والمطاعم والأندية .. واكثر هذه الفنادق لا تزال فى حيرة هل تعود إلى الوجود مرة أخرى ؟!

فى الجيزة أكبر عدوان على الأرض الزراعية وإقامة العمارات الشاهقة والمجتمعات ومزارع الدواجن. وارتفاع المياه الجوفية والمجارى إلى الهرم وأبو الهول !!

يا ترى لماذا؟ هل لأن الرمال على جانبى الجيزة تغرى بالموت.. موت النبات والحيوان والإنسان ؟ هل لأن بها الأهرامات العظيمة - وهى أكبر مقابر التاريخ؟ إن حماس الجيزة للقضاء على الحياة والأحياء يقابله فى المنصورة زراعة الحدائق والجزر وفى الإسماعيلية حماية الحدائق ونظافة الشوارع. لقد انفردت الجيزة بأنها قاطعة الأشجار ملوثة الأنهار هادمة الملذات.

مأذون بلا ضمير !!

نظرة إلى المأذون فى الريف.. إن بعض رجال هذه المهنة يعقدون زواجاً باطلاً يسن أطفال دون الرابعة عشرة وحرصاً من المأذون على ألا يقع فى قبضة القانون فإنه يحتفظ بالعقد عنده حتى إذا بلغ العروسان سن الرشد، أعطاهما العقد.. ومن الممكن ألا يكتب العقد. ومن الممكن أن ينجبا أطفالاً والعقد عنده -فإن لم يكن هذا نوعاً من الزنا، والأطفال لقطاء فماذا عساه أن يكون..

وهناك أطباء أيضاً يقومون بتسنين الأطفال، وهم يعلمون أنهم مزورون. كل ذلك معروف فى الريف. وليس جديداً. ولكن له دخل فى زيادة عدد السكان وإرتفاع نسبة الطلاق وتشريد الأطفال فى الريف وهؤلاء المشردون هم الذين يتحولون إلى شحاذين ونشالين.

سمعت حكاية مأذون -أكثر من واحد- قد احتفظ بعقد الزواج عنده. ثم اختلف الطفلان وتدخل الأهل، وكان لا بد من الطلاق. ولا بد أن ترد العروس المهر الذى دفعه العريس والمؤخر.. ولكن والدها اعتذر بأنه قد أنفق ذلك المبلغ فكان لا بد أن يدفع المأذون المهر والمؤخر من جيبه هو وإلا ذهبوا به إلى النيابة.. وسمعت عن مأذون اضطر إلى أن يتزوج العروس الطفلة؟!

صحيح أن هذا المأذون قد فصل من عمله وتولاه القضاء بالعقاب. ولكن هناك عشرات بعيدون تماماً عن العدالة.. ثم إن أحداً من الفلاحين الذين يتعجلون الفرحة بأطفالهم وبأحفادهم بعد ذلك، لا يذهبون إلى البوليس مهما حدث!!

رأيت أسرة صغيرة فيها أطفال صغار كثيرون. سألت قالوا: إن ابنتهم الكبرى تزوجت ثلاثا مرات فى عشر سنوات وأنجبت أربعة أطفال وتركتهم عند والديها بسبب زواجها الرابع -هذه الزوجة لم تبلغ العشرين من عمرها!

وعرفت أن مأذوناً واحداً قد أفلح فى تزويج قرية بأكملها وبنفس الطريقة، ولكنه كان يشترط على العروسين عدم دفع المهر أو مقدم أو مؤخر..

وكان مطلب أهل العريس بدلاً من دفع الفلوس أن يرهنوا عنده جاموسة أو بقرة أو قطعة من الأرض..

أما هذا المأذون -المجرم- فقد ألقى القبض عليه وهو يزوج طفلة عمرها تسع سنوات لطفل فى الثانية عشرة! -أعوذ بالله!!

فـــى الطريـــق !!

ليس صحيحاً أن الأب يطلب إلى ابنه أن يقف تحية له وأن يلقى "اللبان" من فمه، كالذى يمشى بظهره أثناء النوم، أى أنهم يتراجعون وينتكسون بالتاريخ إلى الوراء. إن هؤلاء الآباء لم يعودوا يعيشون فى زماننا. لا أقول ذلك.. فليس بين الآباء من ليس قلقاً على ابنه وابنته، ومصدر قلقه أن الكل ينجرف بعيداً عن آداب المجتمع والذوق والإحترام والتمسك بالقيم الأخلاقية والوطنية.

كان الآباء فى كل الدنيا سواء.. ولكن فى المجتمعات الأوروبية يضعون حداً لهذا القلق.. عندما يصل الإبن إلى سن الرشد فى العشرين.. هنا يجد الإبن أن الأب والأم يطلبان إليه أن يقفل الباب بعناية وهو خارج إلى مجالات أخرى فى الحياة بعيداً عنهما. إنه مثل طائر قد طال ريشه، فلا بد أن يرتفع فى الجو

بعيداً عن العش.. يبحث عن شريكة حياته يبنيان معا عشاً جديداً.. و فى الأفلام الأوروبية نجد البنت تتصل بأمها تليفونياً تقول لها: (مبروك يا ماما.. رزقت ولداً..)

وتهنئها الأم طبعاً دون أن تسألها إن كانت قد تزوجت.. ولقد تكون الأم مجاملة لدرجة أن تطلب إلى إبنتها أن تبعث بصورة المولود.. وتشكرها الإبنة على هذا الإهتمام الغير عادى..

ونحن لم نصل بعد إلى هذه المرحلة ولكننا فى الطريق إلى ذلك.. وهذا يفسر الفزع من الإنحراف والإنجراف الذى ظهر على شكل إحتجاج دينى وتربوى.. أى ظاهرة التعصب والتشدد والتطرف.. إنها رد الفعل الوحيد الغاضب على هذه الميوعة الأخلاقية.. فلولا هذا التطرف فى الإبتعاد عن الأدب التقليدى، ما كان هذا الإلتصاق العنيد بالدين والأخلاق.. لولا هذه الرخاوة، ما كان هذا العنف المضاد، لولا هذا الإستخفاف ما كان هذا التشدد!!

الطبقة المتوسة : أغلبية !!

الطبقة المتوسطة هى الأغلبية فى هذه الدنيا. والطبقة المتوسطة هى مجموعة الناس الذين ظهروا على وجه المجتمع لأنهم تعلموا. ولأنهم عملوا. فلم يعودوا فقراء..

والطبقة المتوسطة فيها كل عيوب الطبقة الفقيرة فيها الرغبة السريعة فى الثراء أى التخلص من الماضى. وفيها أيضاً الرغبة فى الإنتقام من الذين جعلوهم فقراء، ومن الذين هم أغنى منهم. فهم يكرهون أيام الفقر، والفقراء. وهم يحقدون على الأغنياء أيضاً - أى الذين كانوا طبقة وسطى، ثم أصبحوا فوق المتوسط.. ثم طبقة ممتازة..

فى الطبقة الوسطى بقايا أخلاقيات الفقراء: التمسك بالفضيلة والمبادىء والإيمان.

وفى نفس الوقت هـم كـافرون بهـذه القيـم التـى لـم تجعلهـم أغنياء. أى أن هذه القيم هى التى منعتهم من القفز فـوق الحواجـز الإقتصادية.. ولا مانع عندهم من إدعاء الأخلاق والمبادئ، لإنهـا هى التى تحميهم من الفقراء.. فالدين هو الحاجز المقـدس الذيـن ينـام وراء الأغنيـاء فـى أمـن مـن عـدوان الفقـراء، وأمـام تسـلط الأغنيـاء، لأن الأغنيـاء منـافقون للأغلبيـة مـن الطبقـة المتوسـطة والطبقة الفقيرة!!

عندك فكر الآن: ما هى الأغلبيـة فـى مصـر؟ هـل هـى الطبقـة المتوسطة، أو هى الطبقة الفقيرة؟

إن الـذى أراه مـن ميوعـة وتـزرد وتسيـب يؤكـد أن الفقـراء يريـدون أن يكونـوا أغنيـاء مـن أسـرع طريـق، وإنهـم العمـال والموظفون والفلاحون الذين يكسبون بـلا عمـل، والطلبـة الذيـن يريدون أن ينجحوا بالدروس الخصوصية -إنها الطبقة المتوسطة!!

ولذلك لا أرى الذين يحاولون الإصلاح جـادين، لإنهـم أيضـاً من أبناء الطبقة المتوسطة التى تنظر وراءها فى غضب..

وتتطلع أمامها فى غضب. إنهــا تلقــى بـالوحل علـى المـاضى، وتطلق النار على المستقبل.. وبدلاً مـن أن تجعـل المسـتقبل جنـة للجميع. فإنها تريـده جنـة سرية -أى جنـة لبعـض النـاس، وهـى بذلك تساهم فى تزوير المستقبل، لإنها تجاهر بالإصلاح، ولكنها لا تقصد ذلك تماماً!!

لو عاش قاسم أمين !!

لماذا ليس فى مصر أغنياء؟

سؤال المفكر المصرى قاسم أميـن مـن حوالـى تسـعين عامـاً. وكان جوابه أن المصريين يموتون في تـراب الحكومـة. يفضلـون القرش المضمون على المغـامرات التجاريـة.. يتعلمـون ويرهقـون آباءهم من أجل أن يتساقطوا على الكراسى الحكوميـة فـى إنتظـار العلاوة والدرجة..

وكان قاسم أمين يضرب مثلاً بخريج كلية الطب. فهو يتقاضى عنـد التخـرج سـبعة جنيهـات. وبعـد عشـرين عامـاً يصبـح مرتبـه عشرين جنيهاً، وهو سعيد بذلك وكل أسرته تحمد ربنا على هذه النعمة..ويرى قاسم أمين أن مصر فيها موظفون ولكـن ليـس فيهـا أغنيـاء.. وأننا تركنا الثروات الهائلة للأجـانب الذيـن يـأخذون ولا يعطون. لماذا؟

السبب الوحيد هو أننا لا نعمل بالتجارة. ولذلك دعا كل أب وكل أم إلى تعليم الأولاد أن يكونوا تجاراً متعلمين -ويرى أن التجارة التى توقظ كل مشاعر الإنسان وغرائزه فى الكفاح وفى المنافسة وفى لذة التعب والكسب والراحة وإتساع الأفق. أما أن يعيش الناس ويموتوا موظفين: فهذه هى الخيبة الكبرى!

ولو عاش قاسم أمين بيننا اليوم لتغير رأيه، فالتجار كما ترى يكسبون ويسرقون ويهربون أموالهم.. والحرفيون هم أكبر طبقة وأكثر ثراء.. أما الموظفون فهم الأكثر عدداً والأقل كسباً والأشد فقراً.. وطبقة الموظفين هى "توربينات" الطاقة الحيوية فى المجتمع كله.. هم مصدر السلطات والسخط والتمرد وهم شرارة التغيير. ولكنى أرى رأياً آخر وهو أن المستقبل الحقيقى والمؤكد والذى لم نلتفت إليه بدرجة كافية..

بدرجة ثورية هو: شباب مصر يزرع أرض مصر قد تعلم أن يمسك الفأس فهو الفلاح المستنير وهو التاجر الواعى وهو الذى سوف يغير إتجاه الريح.. وهو وحده الذى سوف يبنى على الرمال قصوراً راسخة ومزارع غنية، وأجيالاً تحرص على السلام

حرصها على الشرف والرفاهية - ولكننا نتردد ونخاف من الشباب- مع الأسف!!

مصر : تكية !!

بعض الناس إذا جلست إليهم أحسست أن هـواءاً عليلاً يهـب عليك.. فقد فتحوا عقولهم فانطلق الهواء.. وبعض الناس يقفلـون عقولهم فى وجهك. فتشـعر أمـامهم ومعهـم أنـك عـاجز عـن أن تقول شيئا أو تقنعهم بشىء!

مثلا: مصـر تمـر فـى حالـة صعبـة جـداً. إقتصاديـاً ونفسـياً وإجتماعياً. لا شك فى ذلك ولم أقل جديداً. فهل من علاج؟

السؤال سهل جدا كما تـرى، والمشـكلة كلهـا فـى الإجابـة، والإجابة سهلة جداً أيضاً..

الإجابة لا بد أن نعمل وننتج ما هو أفضل. والإجابة سهلة جدا كما ترى، ولكن الصعوبة فى التنفيذ. انتهى تشخيص أمراض مصر كلها!!

ولست فى حاجة إلى أن أكون فيلسوفاً أو عالماً إقتصادياً أو سياسياً فذاً لكى أقرر المرض وأقترح العلاج..

أما العلاج فصعب لماذا؟؟

صعب. لأننى يجب أن أكون مقتنعاً إقتناعاً دينياً، أى يصل إلى حد اليقين الدينى، بأننا إذا لم نعمل، فسوف نمد أيدينا عبر القارات ونقول: لله يا أسيادنا، ومن المؤكد أنهم جميعاً أسيادنا، ما دمنا لا نجد ما يكفينا، وإن كان الذى نطلبه ليس لله..

وإنما للكسالى والتنابلة من الفلاحين والعمال والموظفين، فمصر أصبحت "تكية" والناس جميعاً جالسون نائمون يشخرون على المصاطب. وإذا صحوا من نومهم ارتفعت أيديهم إلى السماء يطلبون من الله أن يعطيهم. وهذا ليس من حقهم. بل يجب أن يخجلوا أن يطلبوا من الله..

فالله لا يعطى التنابلة والمتواكلين الذين لا يستحقون الهواء الذين يشمون والماء الذى يشربون..

هل قلت جديداً؟؟

أبدا وليس مطلوبا من أى أحد أن يقول جديداً.. فقط أن نقول وأن نؤمن وأن نتحرك لكى نعمل ونعمل ونعمل.. ولا أمل فى إصلاح إذا لم نعمل، ولا أمل فى إستقرار سياسى وإجتماعى ودينى وإقتصادى إذا لم نعمل. وإذا كنا نقول ونكرر ذلك ليلاً ونهاراً ونتواصى بالعمل، ثم لا نعمل فما الذى نتوقعه أن يحدث؟!

ألم يخترع الإنسان فى بلاد أخرى أسلوباً أقوى وأعنف من أجل فرض العمل على الناس بالقوة - لا أرى حلاً آخر!!

نصف ساعـــة عمــل ؟!

كراهتنا للأجانب لا تزال قوية. وهى دليل على ضغط التاريخ على أعصابنا، ولكن بمرور الوقت سوف يتغير كل شىء. فالزمن أعظم طبيب...

الأنجليز مثلاً احتلوا بلادنا ثمانين عاماً، لم يحتلوا سيناء فقط وإنما احتلوا مصر كلها من أولها لآخرها..

وتدخلوا فى التعليم والدين والسياسة وشكلوا الوزارات وأتوا بالملوك ورؤساء الوزارات والوزراء.. ولم نذهب فى كراهية هذا الإحتلال إلى أن حرمنا اللغة الإنجليزية.. ولا كرهنا الذهاب إلى لندن.. بل إن الإنجليزية هى لغتنا الأوروبية الأولى وإعجابنا بالدستور والديموقراطية البريطانيين لا حد له.. ونجد أنفسنا سعداء فى لندن. وإذا ذهبنا إلى لندن تزاحمنا فى محلات ماركس وسبنسر -اليهودية التى ساعدت على قيام إسرائيل.

وحتى الذين انحرفوا من المصريين ومن العرب ذهبوا إلى محلات ماركس وسبنسر وسرقوها. كأنهم أرادوا أن تكون السرقة فضيحة تدل على أنه بالرغم مما فعله الإنجليز، فنحن نذهب إلى بلادهم، وعلى الرغم مما فعله ماركس وسبنسر لإسرائيل فإننا نفضل الفضيحة عندهم على أى مكان آخر!!

واحتلتنا فرنسا ولا تزال اللغة الفرنسية فى مكانها الرفيع فى ثقافتنا.. ولا تزال باريس أم الدنيا -دنيا الثقافة والأدب والفن.. وكانت فرنسا قد احتلتنا بجيوش نابليون وخيوله التى انتهكت الأزهر.. ولكن الزمن عالجنا من أوجاع الماضى.. ونسينا ونسى السعوديون أيضاً ما فعلته قوات إبراهيم باشا فى منطقة الدرعية - وأن كان قذ استدرجنى إليها أحد الأصدقاء فى الأسبوع الماضى.. وفهمت المعنى.. ولكنهم سوف ينسون وننسى.. تماماً كما سوف تنسى اليمن قوات مصر وما فعلته الجمهورية الأولى..

المهم عادت بلادنا حرة ويجب أن تبقى حرة.. ويجب أن نقيم هذه الحرية بالعمل الداخلى..

ويجب إختصار أجازاتنا وأعيادنا.. فالحقيقة المخجلة التى تسترنا عليها رسميا أن متوسط ساعات العمل للمصريين جميعاً أقل من نصف ساعة يومياً- هذه حقيقة محزنة وفاضحة لنا جميعاً! ومن المستحيل أن تشييد مصر إستقلالها وحريتها على نصف ساعة عمل- فهذا ما لم تفعله أية دولة شرقاً أو غرباً!!

رجل فشـــــار !!

رأيت السيد الوزير على شاشة التليفزيون الحمد لله صحة جيـدة نظرته هادئة، بشرته ناعمة وبعملية حسابية بسيطة أقول أنه ينام ويأكل ويشرب جيداً. ولذلك فجهازه العصبى يتلقى ويرد بهدوء. إذن فكل الذى يقوله الناس صحيح. الأرقام الذهبية صحيحة، المستقبل مضمون، الخيرات وفيرة، فلا معنى إذن لشكاوى الناس - فكل شىء موجود جاهز..

إذن فهو يرى غير الذى نراه ويسمع غير الذى نسمعه ويعرف ما لا نعرف. فأما أن يكون هو المصرى الوحيد. ونحن أجانب، وأما إنه زائر لمصر من كوكب آخر فهو أجنبى، ونحن مصريون.

فإذا كان الذى يقوله صحيحاً، فالذى نعانيه خرافة، وإذا كان الذى نعانيه صحيحاً فالذى يقوله أكذوبة..

وتلفت أرى أثر الهدوء والسعادة والنعمة على وجوه الذين حولى من العمال والفلاحين والموظفين فوجدت إستنكاراً شاملاً، فإن كان هذا إستفتاء على كلمات السيد الوزير فهو لم يفز بصوت واحد. وطلبه أمام شاشة التليفزيون وإستجوابه علناً، واجب قومى..

والذى يقوله سيادته ليس جديداً فى عمومه -أى معنى الكلام والإتجاه والأسلوب قد عرفناه قبل ذلك. فكل عصر له "رجل فشار" سيادته فشار هذا العصر، ومنوم مغناطيسى وقارئ كف وفاتح فنجان وضارب رمل.. وما دام هو مستريحاً إلى هذه الدرجة فهو إذن لا يكذب، أو ما دام هادئاً جداً هكذا، فهو لا يعانى قلقاً أو إضطراباً أو تمزقاً داخليا.. إما لأنه صادق ، وإما لأنه قد اعتاد على ذلك..

وإذا كنا نحن لانبادله هذه الراحة والنعمة، فلإننا لا نصدقه، ثم إننا أعتدنا أيضاً علىألا نصدق أمثاله من الذين أراحوا ضمائرهم وأناموها..

آسف لا أقصد أحداً من الأحياء، فقد كنت أتفرج على تسجيل قديم!!

معترضـون دائمـــا !!

القاهرة تتحرك تحـت الأرض وتحـت النيـل، فكـل يـوم نضيـف خطوطاً جديدة للمترو.. حتى تخـف حركـة المشـاة فـى الشـوارع وبين السيارات وتحتها.. وكان خوف النـاس عظيمـاً مـن المـترو.. كما كان خوفهم عظيما وإستنكارهم أكبر للكبارى العلوية.. وقالوا شكل الشوارع.. ما الذى يفعلـه كبـار السـن والمرضـى والحوامـل والأطفال؟. ولم نكن نقول إلا إحتجاجاً وإعتراضاً على كل مـا هـو جديد.. فالناس قد أعتداوا على أن يتخبطوا ويتضاربوا.. فإذا أتيحت لهم فرصة أن يغيروا هذه العادة شعروا بالضيق!!

وقيل إن المترو السفلى سوف يكون فرصـة جديـدة لأن يواصـل الناس قذراتهم وإهمـالهم وتسـيبهم فـى ظـروف أحسـن.. وسـوف تعطل كل الأجهزة الإلكترونية.. وسوف وسوف.. ومن الغريب أن شيئا من ذلك لم يحدث فالنظام مستمر والنظافة والإنضبـاط.. ولـم

نجد مواطناً واحدا قد وضع فى جيبه مسماراً ليمر به على أبواب المترو وجدران الأنفاق.. فماذا حدث؟ إن النظام يغرى بالنظام والنظافة تدعو إلى النظافة. فالإحترام أصبح عاماً لكل ما هو قطاع عام ولكل ما هو جديد..

وأعترض الكثيرون على بناء دار الأوبرا وقالوا: أين تقف السيارات.. وما الذى تفعله الرطوبة والهباب بالدار الجديدة؟

وإلى جوار الأوبرا الآن أوسع موقف للسيارات فى مصر.. نظيف مضيء.. وعادت لسهرات القاهرة نظامها وأناقتها.. أناقة السيدات والرجال والإنضباط.. وكنا نسينا هذه المناظر المتحضرة منذ كانت الأوبرا الملكية.. عندما كان يتردد عليها الأمراء والنبلاء والأغنياء والأجانب.. وكانت الأوبرا تحفة فى الأناقة والفخامة والذوق الرفيع..

ولا توجد ورقة واحدة على أرض محطات المترو كما لا توجد سيجارة على أرض الأوبرا ولا فى داخلها.. ولا أحد بقميص وبنطلون ولا أحد بقبقاب ولا لب سودانى ولا سندويتش فول.!

فالنظافة كالقذارة حالة معدية.. وكذلك الإنضبـاط والفوضـى - إذن هناك أمل فى هذا الجيل. وأمل أعظم فى الذى يليه!!

دايـــــخ فقط !!

لا تتهم نفسك بالجنون أوالغباء أو أنه كان من الأفضل أن تولد فى غير هذا الزمن.. وإنك "دقة قديمة" راحت عليك ويا الله حسن الختام -أما أنك تطلب حسن الختام، فهذا ما يرجوه كل إنسان فالله قادر على أن يجعل النهاية أفضل من البداية.

أما إتهامك نفسك فهو ظالم لأن أحداً لم يعد يفهم شيئاً، لا المحكوم فاهم للحاكم ولا الحاكم فاهم للمحكوم..

ولاأحد يستطيع أن يتبين الصواب من الخطأ.. هل الحكومة على صواب؟ هل المعارضة فقدت صوابها..؟ وبين الصواب وفقدان الصواب ضاعت الحقيقة.. فما هى هذه الحقيقة؟

إنها أمل الناس جميعاً فى أن يعرفوا إن كان صحيحاً أن القانون هو السور الذى يحمى الناس.. وإن كان هذا السور شائكاً أو مكهرباً.. وإن كانت عربات الحراسة ملغومة تنسف الحارس

والمحروس.. إن كانت اللوحة التى يضعها القاضى فوق دماغه عليها الآية الكريمة ﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ هذه اللوحة هل مكانها فى مواجهة المتقاضين، أو فى مواجهة القاضى ووكيل النيابة والمحامى وأعضاء مجلسى الشعب والشورى وأساتذة الجامعات ووزراء تكفير المصريين وتهجيرهم..

هل صحيح أن الناس جميعاً يقومون بحركة تعويض شاملة -فما دامت القوانين القاطعة لا تصدر من فوق، فإن الناس يتولون إصدارها من تحت، وهل إذا جاءت القوانين من تحت، تكون قوانين.. أو أنها "بدل فاقد" - أى أنها قوانين فى غياب القوانين!!

وإذا أنت رحت تتلفت يمينا وشمالاً وتدور حول نفسك، فليس سبب ذلك أنك مجنون.. وإنما أنت (دايخ) فقط.. ولا تعرف لك هدفاً ولا وجهة.. تتبين الحق من ا لباطل- وإن كان الباطل أعلى صوتاً وأكثر إعلانا فى الصحف!

ولكى أهون عليك أقول لك: إن هذه شكوى عالمية. كأن العالم قد أستنفذ ما عنده من صدق وأمانة فبدأ يسحب الإحتياطى الإستراتيجى من الكذب!!

مفيـش مشكلـة !!

كما أن عبارة مفيش فايدة، من أكثر العبارات شعبية في مصر، فإن عبارة: مفيش مشكلة هي أكثر العبارات شعبية في أوروبا.

فنحن نقول: لا فائدة من الكلام لا فائدة من النقد لا فائدة من النصح ومعنى ذلك أنه لا أمل في علاج لأى شيء..

وأستقر هذا المعنى على الألسنة والأقلام، فأصبح حجراً يسد الطريق إلى النجاة! منتهى اليأس!

بينما أنت في كثير من الدول الأوروبية تسمع أن كل مشكله لها حل، ويكون الحل، تقول لأحد مثلاً: لقد تكدست الثلوج في الطريق فلا أمل في الوصول إلى المطار. ويكون الرد مفيش مشكلة، ويجرى الإتصال بالمطار فيقال/ فعلا السفر بالطائرة غير ممكن، إذن فالسفر بالقطار إلى مطار آخر..

وتقول: ولكن لا بد من حجز مكان فى أحد الفنادق وأنا لا أعرف.

ويكون الجواب: مفيش مشكلة.

ويتم الحجز دون أن يعرف الفندق من أنا ومن هو، وتظهر مشكلة أننى نسيت حقيبتى فى التاكسى الذى لا أعرف رقمه. ويكون الجواب: مفيش مشكلة. وتجىء الحقيبة.. ولانهاية للمشاكل التى يجدون لها حلاً..

حتى لم تعد مشكلة، فكل شىء يمشى، تماماً كالسيارات فى الشوارع والطائرات فى الجو.. كل شىء يتحرك بسهولة "كله ماشى"..

ونحن أيضا نستخدم عبارة "كله ماشى" -أى كل شىء مثل كل شىء.. الكويس والوحش.. القويم والملتوى.. الذى يجتهد والذى يغش.. وعبارة "كله ماشى" هى صورة أخرى من عبارة "مفيش فايدة" فالمعنى: وهو أنه مهما عملت أو لم تعمل فالنتيجة واحدة- ومثل هذه العبارات مدمرة لحياتنا الأخلاقية والعملية محطمة للمثل العليا.. لمن يريد أن يصلح نفسه وبلده، ويحقق لمستقبل الأجيال

شيئا نافعاً. شيئاً يجعل كل شيء يمشى بسرعة نحو حل لكل مشكلة!!

كلهــم يكذبــون !!

كله يكذب! وحياتك كل الناس يكذبون. أنت وأبــوك وأمـك وزوجتك وأولادك. لأنهم بشـر. ولأن الصـدق فـادح التكـاليف. وأن الكذب ينجى أحياناً ولكنه ليس الأسلوب الوحيد للنجاة.

ولكن أخطر من الكذب: تلك الصدمـة. أى التى تصيـب مـن كان يؤمن بك إيماناً مطلقاً أنك لا تكذب.

أنت مثلاً: كذبت علـى إبنـك مـرة ومـرة وأنـت حسـن النيـة. لإنك تريد مصلحته. ممكن. ولكن إذا أنكشفت.. أى إذا أفتضـح أمرك. فقل بالله عليك أين يذهب وجهك.. أين تضـع رأسـك..؟ أى معنى لما سوف تقوله اليوم وغداً.. وكيف تعيد صورتك التـى نزعها إبنك من الحائط ولعله..

وكان يضعك فوق فوق.. والآن لقد أنزل صورتك.. أزالهـا.. صحيح أن الصورة لا تزال هناك على الحائط.. مرفوعة بمسمار..

ولكنه لم يعد ينظر إليها.. كأنها ليست هناك.. أو لإنها ليست هناك. أو يجب ألا تكون -انتهى!!

ثم أكاذيب صغيرة، ممكن كل يوم، فأنت ترحب بأى إنسان وتصافحه وتعانقه وتمتدح شكله وصحته وملابسه وربما أفكاره. لا بأس. ويكون الرد عليك أحسن وأجمل. فهذه المجاملات البيضاء. أنت اعتدت عليها وأنا أيضاً. ونرى أنه لا قيمة لها. ولكن لا بد منها لإخفاء اللامبالاة أو العداء، لأن المصارحة بما نحس به حقاً، لا ضرورة لها. فأنت تكذب، لا ضرر. وهو يكذب لا ضرر.. والذى يقول لك: أنت نورت.. والدنيا من غيرك.. الخ لا يعنى ما يقول. ولكنه كلام حلو ورقيق ومهذب. شكراً..

أما الكذب الذى هو قنبلة زمنية.. الكذب الذى ينسف الجسور ويمزق عروق القلب، هو الذى يتعلق بالأمانة.. بالشرف.. هنا فقط. يكون الكذب زلزالاً يحطمك ويحطم صورتك ومستقبلك فى عينى أولادك وزوجتك وأمك وأبيك- انتهى!!

وإذا كانت الحياة تحتمل مليون كذبة صغيرة، فإن واحدة كبيرة لهى إحدى الكبائر -فاحترس وأنت تكذب على الصغار والكبار أيضاً. وكل الأكاذيب منزوعة الفتيل. إلا هذه الأكذوبة الأخيرة.!!

لا تنصح أحــداً !!

إذا كنت من الذين يحبون أن ينصحوا الناس، فنصيحتى لك ألا تفعل ذلك كثيراً. وأنت أولى بالنصيحة، مثلاً تقول للناس لا تشربوا كثيرا من الشاى والقهوة لأنها.. ولأنها.. وتقول: لا تدخنوا أيضاً، لأن السيجارة ولأن السرطان.. أو تقول أن الجلوس أمام التليفزيون طويلاً يضعف العين لأن الأشعة التى تتدفق من الشاشة تحدث فى تكوين الخلايا كذا وكذا، وأن خطورتها على الأطفال أكثر!

ومعنى هذه النصائح أنك تحارب الإدمان، لأن الإنسان إذا أدمن شيئاً، عجزت إرادته عن منعه من الإستمرار فى الأكل والشرب.. فالإنسان المدمن هو الإنسان الذى يفعل شيئا بدون تفكير، ويعجز تفكيره عن الإعتدال أو عن التوقف، ولكن من قال لك إنك لست مدمناً.. بل أن الإنسان حيوان مدمن.. أنظر إلى ما

تفعله فى أى يوم. تجد أن لـك عـادات منتظمـة ثابتـة تؤديهـا بـلا تفكير. وهذه هو الذى نسميه العادة أو ملامح شخصيتك..

أنت تنهض من النوم وبسرعة تتجه إلى البحـث عـن الصحيفـة ومعها السيجارة وأحيانـاً فنجان القهـوة وبسـرعة تتجـه إلـى دورة المياه.. لأبـد منهـا جميعـاً وإلا. ثـم لاحـظ نفسـك إذا لـم تجـد الصحيفة تحت الباب أو لم تجدها عند البـائع.. أو وجدتهـا ولـم تجد كهرباء، أو كانت ولم تجد شايا أو وجدت الشاى ولم تجد السكر أو وجدت السكر واضطررت إلى أن تـترك البيـت بسـرعة دون أن تفعل شيئاً اعتـدت عليـه.. أنـت تعـرف الإرتبـاك النفسـى والقريفة التى تصيبك حتى تعود إلى البيت.

فما المعنى؟؟

المعنى هو أن حياتنا مجموعة من العـادات التـى تكونـت أول الأمر بالتفكير، وبعد ذلك أصبحنا نؤديها دون تفكـير وفـى ذلـك راحة للعقل..

أما العذاب فهو أن تأخذ بنصيحة أحد الفلاسفة وتفكر فى كل خطوة تخطوهـا.. وفـى كـل فكـرة تخطـر لـك علـى بـال.. وإذا

حدث فقد سلطت عقلك على جسمك، أما علاجك فهو الهـرب مـن هـذا العـذاب اليومـى. ولا يكـون ذلـك إلا بالإدمـان.. أى بالإستسلام التـام لشـىء يحـررك مـن الإرهـاب العقلـى والتصفيـة الجسـدية -التدخيـن بإسراف مـع القهـوة والشـاى والنـوم أو الحشيش- فلا تنصح أحداً قبل أن تعرف نفسك وغيرك!!

البكـاء دواء !!

لم أعرف ما الـذى أقولـه فـى هـذه المناسبة.. مـات الصديـق وكلنـا سـوف نمـوت. الصديـق ميـت والعـدو أيضـاً، ومـن ليـس صديقاً -والإنسان والحيوان والنبات والشمس والقمر.. ولا يبقـى إلا وجه الله..

مددت يدى وفيها كل حزنى على الذى ذهب صغيراً، وذهبت معه آمال أمـه وأحـلام أبيـه.. يرحمـه اللـه. وسـاعة القـدر يعمـى البصـر.. فسيارته واحـده مـن مليـون.. والسـيارة القادمـة هـى الأخرى.. كيف قفزت هذه فى حضن تلك. وضاع كل شىء فى لحظة واحدة!

وينتظر الأصدقاء أن أكتب كلمـة أو سـطراً.. لا عنـدى كلمـة ولا أجد سطراً. ألست حزيناً؟ بلى حزين جداً، ولكن الكلمات لا تطاوعنى.. أو لا اجد الكلمات المناسـبة.. فالكلمـات ليسـت إلا

مثل زجاجات ضيقة العنق، ومفروض أن أصب فيها أمواج المحيط.. مشكلة أدبية! ولكن أحداً لا يصدق. مع أن الكتابة المليانة هي المشكلة، فهل الكاتب أيضاً في حاجة إلى "ندابة" توجع قلبه وتعصر عينيه على الذي راح. شيء عجيب: الحزن بكاء بغير دموع، و "الندب" دموع بغير حزن.. فهل الكاتب في حاجة إلى من يهزه ويعصره؟ نعم أحياناً.

يقول البارودي في موقف كهذا: فزعت إلى الدموع فلم تجبني وفقد الدمع عند الحزن داء وما قصرت في فزع ولكن إذا غلب الأسى ذهب البكاء أي إذا غلب الأسى. فلم يعد أحد في حاجة إلى البكاء..

ولكني أذهب أزور قبر أمي وأبكي ولا أعرف ما الذي أبكيه وما الذي أبكي عليه.. هل أبكي على نفسي.. هل يبكي بعضي على بعضي.. وما الفائدة؟ ولكن البكاء هو "تفريج" عن النفس.. إنها فائدتي. فقد علمونا ونحن صغار أن البكاء أنوثة. ولكن العلم الحديث علمنا أن البكاء دواء.. وعند البكاء يلتقي العاطفيون والعقلاء.. فإن فاتك أن تكون عاطفياً.. فلا تنس أن تكون عملياً

-لقد أفسدنا كل شيء على أنفسنا.. فلم نعد قادرين علـى البكـاء بلا تفكير، ولذلك فنحن نفكر أن كنا نبكى أو لا نفعل ذلك!!

امسكوا الحرامى !!

عندك فرح ولك أصدقاء من بلاد كثيرة. فما الذى يقدمونه لك.

الفرنسي يقدم زجاجة شمبانيا.

الإنجليزى يحمل براداً للشاى.

الإيطالى: يجىء ومعه الكمان ليغنى.

الأسبانى: يأتى للعروس ببرنيطة سوداء بها وردة حمراء.

الأمريكانى: يصور الفرح فيديو.

اليابانى: يقدم خريطة بارزة لليابان ملفوفة فى ورق ملون جميل..

اليونانى: يدعو العروسين لقضاء شهر العسل فى ا لجزر ويقدم لهما عنقودا من العنب.

فما الذى يفعله أصدقائك من المصريين..

أنت تعرف ولكن سوف تجد أناسا يفكرون فى فركشة هذا الفرح لماذا؟ كده!!

ومن بين محاولات الفركشة: تجريح العروسين. فيقال أن العريس قرد مسلسل وأن العروس حرباء -أو كما تقول الأغنية: الغراب يا واقعة سوداء.. جوزوه أحلى يمامة.

وسوف تجد أناسا يعتزمون بإصرار تحطيم فوانيس الفرح -أى تحويل الفرح إلى مأتم لماذا؟ كده!!

إنها نزعة تخريب أساسها: الحرص على أن يظل الإنسان سلبياً فإذا فوجىء بشخص إيجابى، كان ذلك فضيحة له.. ولذلك يحاول أن يقضى عليه..

وأخيرا قررت مجموعة من شركات مصرية شابة أن تجند ألوف الشبان للعمل فى الزراعة والبناء مقابل مرتب شهرى قدره مائة جنيه. فتقدم عشرات الألوف من الشبان. وهذا واجب على كل الشركات والمؤسسات وليس على الدولة -فالدولة يجب أن تتفرغ للأعباء الأخطر والأهم.. فلا تبيع السندويتشات ولا تتجر فى الأسماك والبيض.. فنحن فى زمن باعت فيه مارجريت تاتشر

المطـارات والسـكك الحديديـة والمـاء والنـور والفحـم للشـعب..
للقطاع الخاص!!

أمانحن فنصرخ فى كل مكان: إمسـكوا الحرامـى.. وإذا كـانت
هناك سرقة: فهى سرقة الكسل والسلبية!!

العيب فيك !!

لا تتهم نفسك يا سيدى، فكلنا ذلك الزهقان القرفان أحياناً، أقولها للأستاذ إبراهيم شادى النواوى رجل الأعمال خريج الجامعات الأمريكية فكثيراً ما يشعر الإنسان بإن ليست لديه رغبة فى القراءة أو ا لكتابة. تماماً كما تشعر بإنك لا تريد أن تأكل أو تشرب أو تخرج من البيت.

ولا تظن أن الكاتب يظل طول الوقت يكتب، وأنه يجد الكلام، وإذا وجد الكلام فليس من الضرورى أن يكون قد أهتدى إلى أدق المعانى.. أحياناً وأحياناً يفتقدها.

فالكاتب مثلك تماما يدور حول المعانى ويواجهها ويصادفهاويستسلم لها.. ويرضى بالجهد الذى بذله فى العثور عليها.. ويحاول مرة ومرة.. ويكرر الكلام ويكرر المعانى لأنه يريد أن يكون أقرب ليرى أوضح وليعبر أعمق وأصدق. يحاول دائما..

ويتعب ويضيق بالبحث واللف والدوران.. ويلقى بالقلم ويتفرج على ما يقوله الآخرون.. والكتابة مشقة ومتعة أيضاً.. وأحيانا يجد الكاتب ما يقرأه ويستوقفه وأحيانا لا يجد.. وكثيراً ما قال الله.. الله.. إذا وجد جميلاً صادقاً عميقاً.. وأحياناً يقول: أعوذ بالله.. يقولها لنفسه ولغيره..

وأنت حين لاتمد يدك إلى الطعام الذىأمامك، فليس عيباً فى صناعة الطعام.. ولكنها نفسك المسدودة عن الطعام.. معدتك.. أفكارك.. همومك.. فليس بيننا أحد لا يدير رأسه بعيداً عن الذى يرى أو يسمع ضيقاً ومللاً..

ولذلك أسباب كثيرة. أولها التعب، أى أنك تصبح غير قادر على أن ترفعها إلى فمك.. وغير قاذر على أن تفتح فمك بالقوة شفتيك وتضع بالعافية معدتك أن تهضم وأن تتمثل.. عادى أنت جداً يا سيدى. أما الذى ليس عاديا فهو الذى لا يعرف التعب والزهق والملل.. أنت واحد من خمسة آلاف مليون نسمة يا سيدى!!

هناك عبارة مشهورة تقول: لا يضيق بنفسه: آلة أو حيوان!!

فأضاف الشاعر الألمانى جيته قائلاً: أو هما معاً -أى الإنسان!!

يمـوت فى جلـده !!

كان لى أحبه كثيراً، ولكنه..

تاريخه طويل ومعقد.. وهو معذور فـى أن يكـون علـى الصـورة التـى نراهـا ونأسـى لهـا. لقـد ورث عـن والديـه الكثـير مـن المـال والهموم والأمراض والعقد النفسية، وهـو رجـل سـافر كثـيرا وقـرأ، واستنار وأنار وساهم فى صناعات عديدة ونجح. وهو أمل الكثيرين ولكن.. كان حزينا فى وقت من الأوقـات لأن اللـه قـد حرمـه مـن الولد ثم أعطاه الولد والبنت والأحفاد. ولكن..

كان يظن أنه مادام قـد أعطـاه الولـد، فلـن يعطيهالمـال،وأعطـاه الكثير من المال يأتيه من كل فج عميق حلالاً وحراماً أكثر ولكن.

"ولكن" - هذ هو الذى يسرف فى إستخدامها، وهو يقصد بهـا أنه عندما أعطاه الولد أعطاه وجـع القلـب وجلطـة المـخ.. وعندمـا

أعطاه المال فضحه أيضا فالناس يعرفون أن أكثره حرام، وأنـه حـرام لأنه باع ذمته كثيرا لكل من يشترى. وأشـتراها وأشـتراه كثـيرون.. وعندما أعطاه النجاح وهبه الحقد على كـل النـاجحين وعلـى كـل الأصحاء وعلى كل الذين ليس عندهم أولاد والذين ليست أعصابهم مكشوفة عريانة إذانفخها الهواء صرخ وإذا لمسها هو تداعى وادعى وأمتدت يداه ولسانه إلى آخر ما نعرفه نحن الحيران..

قلت لجارى: ما رأيك فى نهر النيل؟؟

قال: ماذا فى نهر النيل؟

قلت: ما دام ملوثاً هكذا فإذا ألقيت نفسك فيـه، فـإنك لا تزيـده سموماً!

ولما وجدته قد امتقع لونه بصـورة أخـافتنى علـى صحتـه قلـت: آسف.. ما رأيك فى زورق فـى النيـل فـى ليلـة مقمـرة مـع عـازف شاب؟؟

فاختلطت الألوان الصفراء والسوداء والبيضاء فى وجهه. وقبل أن ينطق بكلمة واحدة قلت لنفسى: بل إنه ليس فى حاجة إلـى نيـل أو قمر أو موسيقى.. يكفى أن يرى الدنيا ويتعذب بها.. ويـرى النـاس

ويحقد عليهم. يتآكل ويحترق فى نفسه وبنفسه عاجزاً عن الوقوف والرؤية.. يموت فى جلده كل يوم ويكون هو النعش وهو المشيعين!!

كماليات الحياة :غلط !!

أعطنى كماليات الحياة وأنا أستغنى عن الضروروريات: غلط!

فمن كماليات الحياة أن تجلس ويأتوا لك بالطعام والشراب: غلط!

أمش على قدميك وحرك ساقيك ونشط دورتك الدموية وشد عضلاتك..

والجاتوه من الكماليات، ولكن الخبز البلدى أصح لمعدتك وأمعائك، فقشور القمح والذرة مادة سليلوز ضرورية للهضم وحركات الطعام..

والهدوء وعدم الإنفعال من نعيم الحياة: غلط! لابد أن تسمع ما لا تحب أحياناً، وأن ترى مالا تطيق، وأن تلتقى بخصومك وأعدائك الذى لا يرون ما ترى فى هذه الدنيا. ففى ذلك تنشيط

لقلبك وإستفزاز لأعصابك، وتعديل لمسارك أو قوة جديدة تضاف لحسابك فتبقى على ما أنت عليه..

ومن الكماليات أن تأكل المسلوق الذى لا يوجع أسنانك ولا يرهق معدتك ولا يتلكأ فى أمعائك: غلط! لا بد أن تأكل المالح والحريف من حين إلى حين.. لتوقظ النائم فى معدتك وأجشائك. لا تخف أنك قادر على مواجهة كل ذلك، ولكنك تخاف من التجربة..

ومن الكماليات أن تنظر إلى الساعة.. ففى موعد معين نأكل وننام وننهض ونخرج، عملا بنصائح الأطباء بأن النظام ضرورة الحياة السليمة . ولابد أن تكون هناك ساعات للعمل وساعات للراحة. وأن توزع الطاقة على وظائفك بالعدل حتى لا ترق عضوا أو غدة، فالعدل أساس الصحة: غلط!!

لن يموت أحد إذا سهر يومين أو ثلاثة بلا نوم. لم يحدث أن مات أحد. ولا حدث أن طال عمر أحد لأنه ينام من الغروب إلى الشروق. ولكن من الضرورى لصحتك أن تقع مفاجأة من حين إلى

حين: مفاجأة فى الطعام وفى النـوم وفـى العمـل وفـى الراحـة. وإن يتصدع راسك وأن تتقلص معدتك. لا تخف..

إن الطب الحديث يدعوك لأن تعطى لجسمك ووظائفك فرصـة لكى تؤدى واجبها الدفاعى الأبدى هذا الواجب الدفاعى هـو الـذى أبقى الإنسان حتى اليوم رغم قـوى الطبيعـة والحيوانـات المفترسـة والميكروبات -لا تخف!!

من الذى يعمل !!

فى بيان رسمى أن المصريين يعملون أقل من نصف ساعة فى اليوم . أى حوالى ما يعادل ثلاثة أيام فى السنة أى حوالى مائة يوم فى العمر كله!

فبالله عليك ما معنى العمل عندنا، والعمل والهيئات والنقابات والمكتسبات .. وهذا الذى نسميه عملا يقتضى منه علاوة والدرجة والحافز والتعويض والعلاج والمعاش والأجازات المرضية والعرضية والأعياد الدينية والقومية - ما نسميه مكاسب الطبقة العاملة!!

ثم البعثات والمبانى والمدن الجامعية والمواصلات والملاعب وخطط التنمية وتنظيم النسل ومعالجة الجفاف والتسليح وأجهزة حماية الدولة من الغاضبين والساخطين من أبنائها كل ذلك من أجل ٢٦ دقيقة عمل من كل يوم!

ثم ألوف الملايين تدفعها من أجل دعم الطعام والخدمات .. وألوف الملايين من أجل "تصريف" لمخالفات الإنسان بصورة صحية .. حتى لا تؤدى الأمراض إلى إرهاق الإنسان والحيوان والتعطيل عن الإنتاج - نصف ساعة من كل يوم . ثم إنشاء المدن الجديدة للتخفيف عن العاصمة ، عن خدمات العاصمة وسكانها الملايين العشرة لا يقومون بأى دور إيجابى فى إختيار نواب الشعب - ربع مليون منهم يذهبون ليقولوا : لا .. أو نعم

ثم الديمقراطية وحرية الرأى مهما كان الثمن ، لكى يقرأ المواطنون الرأى والرأى المضاد .. النظرية والنظرية المعاكسة .. ولكى يتسلوا فى أوقات فراغهم وما أطولها .. ومن أجل تسلية العاملين فى مصر استشرت المعارضة بلا قضية ، إلا التشويه وفتح شهية العمل على أن يحطم بعضهم بعضا ، ولتكن الدولة أولى ضحاياهم ..

ومعنى ذلك أن عدد العاملين فى أى مكان يجب أن نقسمه على ١٥ أو على عشرين لتعرف أن هذا هو العدد الذى يكفى للنهوض بأى عبء .. وكلما نقص عدد العاملين ، كان أفضل وأحسن

وأقدر على الإنتاج - فهل نستطيع ذلك؟ ومن هذا الذى يستطيع أن يقول : إفصلوا ٨٥٪ من العاملين فى الدولة والقطاع العام!

هذا الزمن ردىء

إننا فى زمن ردئ .. اننا فى زمن عاجز عن فهم الزمن .. إننا نعيش فى القرن العشرين وتنقصنا شجاعة وفلسفة القرن التاسع عشر .. ففى ذلك القرن تفوق الإنسان على خوفه وعجزه وابتكر نظريات شاملة تفسر له الماضى والحاضر والمستقبل .. فقد رسم لنفسه خرائط وشوارع ومداخل ومخارج ووجد لنفسه الحل .لانه استطاع أن يشخص الداء وأن يتقدم بالدواء .

أما اليوم فليست عندنا نظرية واحدة لحل كل ما لدينا من مشاكل عندنا نظريات واجتهادات وكلها ذات مذاق عنيف - أى كلها متعصبة . أى أن كل واحدة تدعى أنها الأصح .. أنها مثل "الفريك" الذى ليس له شريك .. وكل الناس يصرخون فافكارنا مظاهر صارخة : يسقط .. يعيش .. يسقط يعيش .. أنا وبعدى

الطوفان .. أنا الطوفان ولا شئ ولا أحد بعدى .. فيها أو أخفيها .. أكسب وأهرب ..

ثم قل لى من فضلك كيف ينجح أى انسان اذا كنا نتهم كل ناجح بانه غشاش وكيف يكسب أى شريف ، اذا كنا قد أعددنا له تهمة : انه لص .. وكيف نغمز ونلمز كل هيئات الأمن والنيابة والقضاء والجيش.. كل الناس لا يثقون فى كل الناس . عندك دواء؟!

والإعلانات الملونة الفكاهية : دواء .. والأغانى دواء .. وتجريح انفسنا : دواء .. والبصق على الأرض دواء .. والهجرة : دواء .. والتكفير: شفاء.

فنحن لا نعرف الدواء لأننا لا نعرف الداء .. ولا نعرف الداء لأننا جميعا قد ارتدينا البالطوا الأبيض لصغار الأطباء والمنظار الغليظ لكبار الأطباء وعلقنا الشارات والصقور والنسور على الأعلام وعلى الأكتاف مساهمة فى تربية الدجاج وحل مشاكلنا الواقعية حلا سيرياليا - وننتظر الذهب والفضة من السماء! ونجد كبار

السن أكثر حماسا كأنهم شباب ، وصغار السن أكثرهدوءا كأنهم شيوخ .. فمن الذى له مستقبل ومن الذى له ماضى ..

واذا كان الماضى قويا قادرا على خلق الدموع والعويل ، واذا كان المستقبل قادرا على خلق الخوف والقلق واليأس وصنع معلبات مكتوب عليها: مافيش فايده .. فبالله عليك قل لى : اذا كان هذا هو الطوفان فأين نوح .. واذا كنا ملايين نوح ، فما حاجتنا إلى الطوفان؟!

الفهـــــــرس

مطابع الأهرام بكورنيش النيل



هذا الكتاب

شبابنا تائه بين القيم التي يتعلمها، والواقع الذي يراه في الحياة اليومية... حائر في البحث عن الصدق في الحياة، وعن الكذب في الكتب.

شبابنا غير قادر على تغيير مالا يعجبه، وغير قادر على أن يعيش كما يحب.

شبابنا يضيق بما يقال له : أنتم صغار .. لم تتعلموا شيئا يذكر.. الطريق أمامكم طويل، فاتعبوا كما تعبنا، وأشربوا المر كما شربنا، واهضموا الكذب الذي هضمنا، وليس من العدل أن تأخذوها جاهزة.

فهل ظلمنا الأجيال الجديدة!.

لم نظلمها إذا مددنا أيدينا، ووسعنا صدورنا، وفتحنا لهم بصدق طريق الأمل.. وإذا ترفقنا بهم، وإذا أشرنا إلى الجانب الجميل في الدنيا، وإذا أفسحنا لهم مكانا في كل مصنع ومكتب ومدرسة ومستشفى.

إنها أمانة يجب أن نؤديها إلى أصحابها.. وهم أصحابها، وأصحاب هذا البلد غداً.

دكتور محمد أحمد يحيى

المكتب المصرى الحديث